الباب الثاني

الإشهار والنظريات اللغوية الحديثة

الفصل الأول : النظرية العرفانية والإشهار

الفصل الثاني : نظرية المزج المفهومي والإشهار

الفصل الثالث : النظرية التداولية والإشهار

تقديم

يستند الإشهار في صياغته وإخراجه إلى نظريات متعددة تهدف كلها إلى تحقيق الغاية الأساسية التي لا تتغير؛ وهي اقتناء المنتج أو القبول عن طواعية بأداء قيمة الخدمة المقدمة [1] .

إن النظرية هي منهج نما وتطور من نظرة إلى قانون، ثم أصبح نظرية والمنهج في حقيقته هو طريقة في معالجة قضية ما، وفي موضوعنا (الإشهار) نجد كثيرا من النظريات التي تناولت الموضوع بالدراسة والتحليل وسعت تلك النظريات إلى دراسة الكيفية التي يعمل بها الإشهار في تسويق سلعه بأنواعها، ويقوم ذلك على عنصر هام؛ هو إقناع المتلقي بصدق هذا الخطاب الإشهاري .

لقد تناولت كل نظرية جانبا من القضية باستقلال تام يوحى للدارس أن هذه النظرية قد تناولت الجانب الوحيد الجدير بالدراسة. لكن الدراسة الجادة العلمية ترى في كل نظرية جانبا من القضية جديرا بالدراسة بشكل مستقل، لهذا يجب أن ندخل في دراستنا حول هذا الموضوع أكبر قدر ممكن من النظريات التي ستتولى كشف اللثام عن هذا العمل الذي يبدو تجاريا محضا وهو في حقيقته له ارتباط بعلوم شتى تدخل في صناعته .

أهم النظريات في دراسة الإشهار:

نذكر بعض النظريات التي تناولت الإشهار بالدراسة،ثم نختار منها ما سنجعله محور دراستنا المقبلة وهي:

١ـ نظرية القيمة. ٢ـ النظرية السلوكية.

٣ـ النظرية السيكولوجية. ٤ـ النظرية الاجتماعية.

---

(١) استراتيجيات التواصل الإشهاري: ٥٤.

٥ـ النظرية الجمالية. ٦ـ النظرية الاقتصادية.

٧ـ النظرية التداولية. ٨ ـ النظرية العرفانية.

٩ـ نظرية المزج المفهومي .

سوف نحاول تحليل الإشهارات التي سندرسها من خلال نظريات هي:

١ـ النظرية التداولية. ٢ـ النظرية العرفانية. ٣ـ نظرية المزج المفهومي

وسأقوم بدراسة هذه النظريات هنا علي المراحل التالية:

أولا: عرض مفهوم النظرية مع تعريف بسيط لها.

ثانيا: بيان علاقة النظرية بالإشهار، وبيان كيفية توظيفها في خدمته

ثالثا: ذكر أمثلة تطبيقية لبيان صحة العلاقة بينهما من خلال إشهارات موجودة في حياتنا اليومية، وأمثلة من القرآن الكريم .

الفصل الأول

النظرية العرفانية والإشهار

١. العرفانية:

ظهر هذا العلم العرفاني ليجيب عن أسئلة مثل: كيف نفكر؟ كيف نتمثل العالم من حولنا ؟ كيف نكتسب المعلومات ونخزنها ونوظفها؟ من خلال علم النفس العرفاني؛ الذي يتقاطع مع علوم مختلفة؛ كالسبيرنطيقا وعلم الأعصاب والفلسفة وعلوم الدماغ وعلم الحاسوب والأنثروبولوجيا واللسانيات، وغيرها من العلوم التي تسمى بالعلوم العرفانية. وقد أوضح ذلك لايكوف في قوله: (علم العرفانية حقل جديد يجمع ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية، وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل ؟ وكيف نعطى لتجربتنا معنى ؟ وما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم ؟ هل يستعمل كل البشر النظام المفهومي نفسه ؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام ؟ وإن لم يكن كذلك ما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون ؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديد)[1].

هذا عالم العرفانية وما يتصل به من علوم، ومركز عملها (الذهن البشري) إنه يبحث في تفاعل هذا الجزء الحيوي من جسم الإنسان مع العالم المحيط به؛ فلو حاولنا استثمار هذه النظرية في فهم كثير من القضايا، لتغيرتْ رؤيتُنا لكل ما حولنا، والعجيب في هذه القضية أننا نفعل ما تقول به النظرية، ونفكر علي منوالها دون أن ندري، بل إن جُل ما نقوم به ملاحظة عمل العقل في التفكير في الأشياء، وهو عمل تلقائي

(١) لا يكوف ١٩٨٧ المقدمة .

لا يمكن أن ينكره أحد، وعليه يجب أن نفكر في هذه النظرية كأداة تدرس ما يقوم به العقل؛ فهي لم تضف جديدا إلى العقل وعمله، لماذا ؟ لأنه عمله الطبيعي يرتبط بوظيفته الحيوية؛ أي التفكير.

١.١ العرفانية والحاسوب:

عالم الحاسوب أحد العلوم التي اخترقتها العرفانية، لذا سنأخذه نموذجا لذلك، خلال الطور الحاسوبي قام تصور العرفانية على أساس معالجة المعلومات، فجرى تعريف العرفانية؛ بكونها معالجة المعلومات في الدماغ، وما تفعله العرفانية يتمثل في تمكين الفرد من السلوك الذكي من قبيل حل المشاكل وفهم الأشياء وتشتغل العرفانية اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيلي رمزي تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزمات في البرمجيات الحاسوبية... وكان التوجه إلى الدماغ أساسا في تصور العرفانية فلا يمكن الحديث عنها ما لم تربط بنشاط الدماغ.. بل يذهب بعض علماء العرفانية إلى أنّ معرفة الدماغ هي الموصلة إلى ماهية العرفانية والموقفة علي اشتغالها، فيحدث التحول من الحاسوب أساسا ونموذجا إلى الدماغ أرضية [1].

٢.١ الإكراه العرفاني والتمثيل الذهني:

ويتحدث جاكندوف عن التفاعل الحادث في الذهن البشري بين مجموعة من المدخلات (أي مصادر المعلومات الداخلة للذهن) التي تتم بواسطتها عملية التفكير داخل الذهن بما يعرف بالتمثيل الذهني فنحن لا نفهم الأشياء، ولا نفكر فيها، ولا نراها إذا كانت غائبة عنا؛ إلا إذا كان لها صورة تماثلها، أو تمثلها في الذهن قائلا: " لا بد من مستويات من التمثيل الذهني تكون فيها المعلومة التي تؤديها اللغة منسجمة، والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرؤية، والسماع غير اللغوي،

(١) نظريات لسانية عرفانية: د. الأزهر الزناد، الدار العربية للعلوم، تونس، ٢٠١١، ص٣٥.

والشم والشعور بالحركة، وهكذا. إذا لم يوجد مثل هذه المستويات، يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الحسية. ولا نستطيع الحديث عما نرى ونسمع، وينبغي على نحو مماثل أن يوجد مستوى تكون فيه المعلومات اللسانية والمعلومات التي يحتمل أن ينقلها النظام الحركي منسجمين، كي نتمكن من تمثيل قدرتنا على تنفيذ الأوامر والتعليمات [1] .

لقد سمى جاكندوف هذه العملية العقلية بالإكراه العرفاني، حيث تقوم آلة المعرفة عند الإنسان (العقل) بمعالجة المعلومات الواصلة إليها عن طريق الحواس، وعن طريق اللغة، وبواسطة حاستي السمع والبصر، وكذلك اللمس والشم، لبناء تصور ذهني عن الأشياء، والتفاعل مع المجتمع المحيط بنا، هذا التصور سماه بالتمثيل الذهني، لهذا يقول عن فرضية البنية التصورية: يوجد مستوى واحد من التمثيل الذهني هو البنية التصورية، وفيها تكون المعلومات اللغوية والحسية والحركية متساوقة. أنا أؤكد أن ليس ثمة ضرورة منطقية لوجود مستوى موحّد مشترك بين الجهات. ومع ذلك في أسوء الأحوال، تكون فرضية البنية التصورية (ف. ب. ت) أمثلة idealization معقولة، وفي أحسن الأحوال، هي فرضية قوية جامعة تهم بنية الدماغ [2] .

٣.١ البنية التصورية ودورها في بناء الدلالة:

إذن ما هي البنية التصورية ؟ و ما دورها في فهم الأشياء، والتفاعل معها ؛ لتحقيق التواصل بين البشر؟

إنها المصنع الذي تُجمع به المادة الخام (المعلومات المتوفرة لدي الفرد عن الشيء) وتتفاعل معا في داخله لتقديم تقرير عنها للذهن، ولذا يجب أن تكون البنية التصورية للفرد ثرية في:

---

(١) علم الدلالة والعرفانية: راي جاكندوف، ت. عبد الرازاق بنور. المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، ص٦٧.
(٢) علم الدلالة ةالعرفانية: ٦٩.

(أ) قدرتها التعبيرية كي تتناول كل الكائنات التي يمكن أن تعبر عنها اللغة .

(ب) القدرة التعبيرية كي تتناول طبيعة كل الصيغ التجريبية الأخرى .

كيف يُبنى المعني في الذهن ؟

إن هذا الأمر يدفعنا إلى البحث في مستوى أعمق في ذهن الفرد ، عن كيفية بناء المعنى في الذهن الفرد ، من خلال ذلك الإكراه العرفاني، وفرضية البنية التصورية ، والتمثيل الذهني للأشياء والأفكار وأثرهم في تكوين البنية الدلالة .

إن ما طرحه جاكندوف من تصور لمعنى الانسجام في التفاعل الحادث بين المعلومات الآتية من الأنظمة المحيطة مع النظام اللغوي؛ يبين حقيقة كبرى، كيف يُصنع المعنى في الذهن بما يعرف بالتمثيل الذهني؟ من خلال مستوى واحد من التمثيل الذهني وهو البنية التصورية ؟

يقول جاكندوف (إن البنية التصورية يمكن أن تكون مستوى أعمق من البنية الدلالية يرتبط بها بمكون قاعدة تسمى في الغالب التداولية، وهي تخصص علاقة المعنى اللغوي بالخطاب وبالخلفيات غير اللغوية)[1] هذه وجهة نظر كاتز وفودور، وهي وجهة النظر التي تبناها جاكندوف إذن هناك مستوى أعمق من المستوى الدلالي يُصنع فيه المعنى، هو البنية التصورية .

٤.١ فرضية البنية التصورية :

صاغ كاتز وفودور تصورا لفرضية البنية التصورية، وقد تبنى جاكندوف هذه الفرضية ، وهي فرضية تربط بين أركان عملية الإدراك اللغوي وبناء المعنى، فداخل عقل كل إنسان آلة عرفانية تضمن سلامة

(١) المرجع السابق: ٧١.

التكوين التصوري وسلامة التكوين الدلالي وسلامة التكوين النظمي وهذه القواعد هي التي تؤدي إلى نجاح عملية الإدراك وفهم المعنى، كل عنصر من هذه العناصر مرتبط بالآخر لتكوين هذا الفهم كما يلي :

(أ) قواعد سلامة التكوين التصوري (ق . س . ت) :

أعمق من الأبنية الدلالية لأنها هي من يكونها، وترتبط هذه القواعد بالأبنية التصورية التي يصنعها كل من النظام الحركي، والنظام البصري، والتداولية القادمة من الأبنية الدلالية والمغذية لها .

(ب) قواعد سلامة التكوين الدلالي (ق . س . ت) :

وهي تلي ق. س. ت. التصورية في العمل، حيث تقوم بمراقبة وتكوين الأبنية الدلالية التي تغذيها قواعد التناسب بين الأبنية النظمية للغة والمعجم وقواعد الاستدلال اللغوي، كل هذه الأشياء تتعاون معا في تكوين الأبنية الدلالية .

(ج) قواعد سلامة التكوين النظمي (ق . س . ت) :

تقوم هذه القواعد بمراقبة تكوين النظمي للغة من أصوات صحيحة وتراكيب وأبنية، فيشترك في تكوينها التمثيل الصوتي والمعجم والأبنية الدلالية عن طريق قواعد التناسب .

إذن فالإنسان لكي يتكلم بكلام مفهوم لابد أن تشترك في إنتاجه والمراقبة على إنتاجه وسلامته هذه الأشياء المجتمعة، والمترابطة معا في تدرج يبدأ بالبنية التصورية، يقول جاكندوف: " يمكن أن تكون البنية الدلالية مجموعة فرعية من الأبنية التصورية . وبديلا الأبنية التصورية التي يحصل التعبير عنها باللفظ فحسب" [1] أي أن البنية الدلالية تابعة للبنية التصورية، بل إن البنية التصورية هي من تصنع البنية الدلالية وتكونها، فهي فرع منها، فالدلالة التي نتواصل بها تنطلق من مستوى

(١) علم الدلالة والعرفانية: ٧٢.

أعمق هو مستوى البنية التصورية، الذي هو أساس إنتاج الأبنية الدلالية، وفي إطار دلالة الألفاظ البسيطة نكتفي بالبنية الدلالية .

هذا الأمر يجعلنا نحتفي كثيرا بالبنية التصورية، ودورها في بناء البنية الدلالية، هذا المستوى هو المصنع الذي يتم به الربط بين المعارف والتجارب الفكرية والحسية والحركية والجمالية... إلخ، والألفاظ التي تدل عليها من خلال بناء تصور ذهني عنها، يدخل ضمن بناء كبير في ذهن المتكلم؛ يجمع كل هذه الترابطات والعلاقات بين الدلالة؛ وما تشير إليه في مجموعة من التصورات الذهنية، يقوم هذا المصنع بإنتاج ما يسمى بالبنية التصورية حول هذه الألفاظ والأشياء التي تشير إليها الألفاظ، أي إنتاج البنية الدلالية [1] .

مثال: هذا المثال يوضح قيمة البنية التصورية، ودورها في صناعة الدلالة:

جلس عليٌّ في داره بين أبنائه؛ فسمع صوت كلب ينبح ويجري، وشم رائحة دخان آت من جهة غرفة الطهي، وسمع صوت سيارة تقف فجأة في الطريق بعد أن كانت مسرعة، فإذا به بدون أن يتكلم ينطلق إلى المطبخ، وينطلق ابنه الأول إلى النافذة ينظر منها، وابنه الثاني إلى خارج البيت، ماذا حدث لهذه العائلة ؟!

(١) **الأب**: شم عن طريق حاسة الشم رائحة الدخان، فتم ترجمة ذلك في البنية التصورية له التي تحتوى علي تجارب وخبرات سابقة نحو هذا النوع من الروائح، فخرج بدلالة فورية تقول له إن بالبيت حريق فأسرع إلى إخماده .

(١) الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية: د عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ٢٠١٤، ص ٣٨.

(٢) **الابن الأول**: فعُرض صوتُ السيارة على بنيته التصورية التي ترجمت هذا الصوت بدلالة معينة، أنه ربما صدمت السيارة أحد إخوته فأسرع إليه .

(٣) **الابن الثاني**: الذي رأي كلبه يجري وينبح، فقد تم ترجمة هذا الحدث بأنه ربما هاجم الكلب أحد اللصوص، فخرج من البيت مسرعا لينقذ كلبه .

هذا المثال يوضح أن المعلومة تصل إلى الذهن عن طريق أحد حواس الفرد أولا، ثم تدخل إلى البنية التصورية التي تقوم ترجمتها وتفسيرها، وتحويلها إلى دلالة مفهومة معروفة نتيجة للخبرات السابقة، ثم تدفع بالفرد إلى النزوع إلى سلوك ما، ولذا كان الاحتفاء بالبنية التصورية ضروري لفهم المعنى .

النظرية الدلالية للغة الطبيعية جزء فقط من النظرية العامة للبنية التصورية، وقواعد سلامة الدلالة مجموعة فرعية لقواعد سلامة التصورات، والبني الدلالية الناتجة عن تطبيق قواعد الإسقاط، طبقة خاصة من التصورات [١] .

خلاصة القول: إن البنية الدلالية ناتجة عن بنية أعمق (أي أسبق في العمل من البنية الدلالية) هي البنية التصورية التي تصنعها، فلكي نفهم البنية الدلالية بصورة صحيحة يجب أن نتابع تكوينها في البنية التصورية وعناصر بنائها أولا، وهذا هو عمل النظرية العرفانية الأساسي .

٢. الإشهار والبنية التصورية:

أدركنا فيما سبق أن العرفانية دراسة البنية التصورية، ومعرفة آلية عملها كمرحلة تسبق ميلاد المعنى وتمهد له بل تصنعه، وأشار د. البو عمراني إلى العلاقة بين البنية التصورية والإشهار ودور الاستعارة في ذلك

(١) الفاسي الفهري: ١٩٨٥، ج٢/ ١٩٨.

في قوله: " فللاستعارات التصورية تجليات في أنظمة معرفية أخرى، نستعملها يوميا بشكل عادي ومألوف دون أن ندرك غالبا طبيعتها الاستعارية. فالاستعارة مندسة في كل تعبيراتنا الثقافية والعلامية تحكم تفكيرنا وضروب سلوكنا ونشاطاتنا، إننا نعيش في عالم ملئ بالاستعارات، فأينما وليت وجهك تجد تجلياتها في اللباس وفي العلامة التجارية وفي الإشهار... وفي غيرها [1] .

لقد ربط بين الاستعارة التي تغزو كل حياة البشر، والبنية التصورية التي تقوم بخلق تلك الاستعارات، وجعل الإشهار أحد ميادين عمل هذه الاستعارة التصورية، فبالاستعارة التصورية يمكن أن نصنع الإشهار، وقد زاد الأمر وضوحا بقوله: " تبنى الإعلانات الإشهارية على عدد كبير من الاستعارات التصورية، ولعل قوة تأثير هذه الإعلانات يكمن في القدرة على اختيار الاستعارات التصويرية المؤثرة والمنسجمة مع ثقافة المتقبل، فالعديد من الإعلانات تكون موجهة لثقافة دون أخرى، لأنها تنسجم مع النظام التصوري لتلك الثقافة [2] .

ويمكن أن نستخلص من قوله هذه النقاط:

أ- يقوم الإشهار على كثير من الاستعارات التصورية .

ب- قوة الإشهار تأتي من اختيار استعارات تصورية مؤثرة ومنسجمة مع ثقافة المتلقي .

ج - دور الثقافة الخاصة بالمتقبل في قبول الإشهار لانسجامه مع النظام التصوري لتلك الثقافة .

إذا كنا نتحدث عن البنية التصورية؛ فإن الإشهار يرتبط بها ويتحرك من خلالها، ويبني عليها تأثيره في ذهن المتلقي، وذلك من خلال استعارته

(١) دراسات نظرية وتطبيقيه في علم الدلالة العرفاني، محمد البو عمراني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، ٢٠٠٩م، ص١٢٦.
(٢) المرجع السابق: ١٣٠.

منها، فصانع الإشهار ينظر أولا إلى البنية التصورية للشعب الذي يقدم إليه منتجه ثم يختار منها ما يجعله أداة لتوصيل فكره، ورأيه إلى هذا الشعب، أو إقناعه بمنتجه، فتصبح تلك الصورة الاستعارية، أو ما يمكن أن نسميه بالاستعارة التصويرية وسيلة إقناع، إنه يعمل في منطقة قوية هي تراث وثقافة هذا الشعب، من اقتراض أمثال وعبارات وعادات ملك لهذا الشعب فيبدو قريبا منهم، ومن هنا تبدو الحاجة إلى معرفة الاستعارة التصورية كوسيلة تعبير.

٢.١ الاستعارة العرفانية والإشهار:

مفاهيم بعض المصطلحات (العرفانية. الاستعارة. الإشهار):

(أ) العرفانية: هي دراسة عمل العقل في إدراك وفهم كل ما حولنا، وكيف نتفاعل معه، وهل نحن سواء في هذا الإدراك أو الفهم ؟ هذه العملية تبدو غيبية، رغم أننا نلاحظها في سلوكنا وسلوك من حولنا، وغيبيتها تأتي من دراستها لشيء غيبي، وهو عمل العقل، وحقيقتها تبدو في واقعنا الملموس الذي يؤكد وجود هذه العمليات العقلية في حياتنا اليومية.

والعرفانية في التحامها بالعلوم المختلفة؛ أظهرت دور العقل في تلك العلوم وكانت اللسانيات العرفانية إحدى هذه العلوم التي التحمت بها العرفانية، لذا كانت تعمل على دراسة العلاقة بين اللغة البشرية والذهن والتجربة بما فيها (الاجتماعية والمادية والبيئية).

فاللغة - كما تري العرفانية - وليدة نشاط عرفاني مركوز في المولد العرفانية العامة التي تمثل نشاط الدماغ عضوا ماديا، وتمثل اللغة بكل خصائصها وطبيعتها وانتظامها جزءً من النظام العرفاني عند الإنسان، ولذلك يكون للغة خصائص هذا النظام العرفاني. فاللغة عرفانية وتواصلية لأنها من خلال مركز عملها (العقل) تحقق التواصل بين عقول البشر.

(ب) الاستعارة: لم تعد الاستعارة ظاهرة ناتجة عن عملية استبدال كلمة بأخرى أو العدول عن معنى حرفي إلى معنى مجازي، بل هي عملية إدراكية كامنة في الذهن البشري تؤسس أنظمتنا التصورية، وتحكم تجربتنا الحياتية، أي أن الاستعارة في جوهرها ذات طبيعة تصورية لا لسانية، إنها عملية تقوم على استغلال آلة الفهم (العقل) في إدراك ما حولنا بخلق مجال مشابه له يؤدي إلى تصور ما لا يستطيع أن ندركه لطبيعته الخيالية، أو أننا لم نره قط، فنحيا فيه من خلال تصوره، وفي إطار هذه المشابهة والخلق الجديد من الصور عن طريق هذه الآلة (التصور العرفاني أي الاستعارة العرفانية) ولذلك قلنا: إن الاستعارة ذات طبيعة تصورية لا لسانية .

أحدث العرفانيون ثورة في تصوراتنا عن الاستعارة، وتتأسس هذه الرؤية على جملة من المبادئ يمكن ذكر أهمها في النقاط التالية:

- الاستعارة ذات طبيعة تصورية وما الاستعارة اللغوية إلا تجل من تجلياتها.
- إن نظامنا التصوري قائم في جزء كبير منه على أسس استعارية.
- الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية وممارستنا التجريبية.
- وظيفة الاستعارة تمكيننا من تمثيل أفضل للمفاهيم المجردة، وليس فقط لغايات جمالية فنية .
- المشابهة ليست قائمة في الأشياء، بل في تفاعلنا مع هذه الأشياء.
- الاستعارات التي نحيا بها نتاج تصوراتنا الثقافية، وأي استعارة خارج هذه التصورات الثقافية التجريبية قد تؤدي إلى تعطيل عملية الفهم والتواصل.

لذلك تعرف الاستعارة عند العرفانيين باعتبارها عملية فهم لميدان تصوري ما عن طريق ميدان تصوري آخر، حيث يمكن إيجازها كالتالي :

ميدان التصوري (أ) هو ميدان التصوري (ب) نحو فهم الحياة عن طريق الرحلة، والجدال عن طريق الحرب، والحب عن طريق النار[1].

من هذا القول يمكن أن ندرك العلاقة بين الاستعارة والبنية التصورية، وأن هناك نوعين من الاستعارة، الأولى: الاستعارة القاعدية التي هي استعارة تصورية التي تبنين نظامنا التصوري عن الأشياء والعالم من حولنا، الثانية: الاستعارة اللغوية هي التجليات اللسانية للاستعارة التصورية، فاللغة هي إحدى الآليات التي من خلالها تتجلي وتتضح هذه الاستعارة التصورية، أو لنقل بعبارة العرفانيين: إن الاستعارة التصورية طريقة في التفكير، وأن التعابير الاستعارية طريقة في الكلام.

وإن اللغة وإن كانت أهم الأنظمة العلامّية التي ندرك من خلالها الاستعارة التصورية، فإنها ليست الوحيدة في عملية إدراكنا للاستعارة، فالاستعارة التصورية تجليات في أنظمة معرفية أخرى، نستعملها يوميا بصورة متكررة اعتيادية دون أن ندرك طبيعتها الاستعارية، وهذه الأنظمة المعرفية هي التي تغذي الذهن بتلك المعلومات والمعارف التي تتبني علي أساسها الاستعارة.

(ج) **الإشهار**: إن الاستعارة تمثل أداة في تصور العالم والأشياء، وتمثيلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النظام العرفاني، ولذلك فالاستعارة أداة مفهمة وتمثيل للمفاهيم وتصور العالم، يعم كل مظاهر الفكر ما اتصل منها بالمفاهيم المجردة وبالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والعلاقات والأحداث والتغير والجعل وما إليها.

فالاستعارة عند لايكوف (١٩٩٢) إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، وما العبارة الاستعارية إلا تحقق سطحي لتلك العمليات من جملة تحقيقات أخرى كائنة في الخطاب العادي والإنشائي قياما واحدا[2].

---

(١) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: ١٢٤.
(٢) النص والخطاب: الأزهر الزناد، دار محمد علي للنشر، صفاقس، تونس، ٢٠١١م، ص ٢٣٥.

إن الإشهار في أغلبه يقوم علي فكرة الاستعارة المفهومية التي هي تمثيل لمجال علي أساس مجال آخر،ويمكن تتبع هذه العملية الاستعارية في كثير من الإشهارات في الأمثلة التالية .

٣ـ أمثلة علي الإشهار العرفاني :

(أ) إشهارات عرفانية من الحياة :

يذكر البوعمراني مثالين على ذلك، الأول: " إشهار حول الفياقرا viagra يقدم على النحو التالي: ـ رجل يحمل عود كبريت .

ـ يقع التركيز على عود الكبريت برأسه الكبريتي الأحمر .

ـ يقدح عود الكبريت فيشتعل .

ـ يشعل شمعة على الطاولة .

ـ يضع بجانبها وردة حمراء .

ـ يعلق المذيع: العبرة بالصلابة .

هذا الإشهار بني على جملة من الاستعارات التصورية، مثل: " الجنس نار "، " الحب حرارة "، " الحب وردة حمراء "، " الرجولة صلابة ". ويفهم المتقبل الإشهار ويؤثر فيه عند استحضاره لهذا الزاد من الاستعارات التصورية الكامنة في الذهن [1] .

استعار المشهر مجموعة من الأشياء التي تحمل الطابع الرمزي، ولها دلالة في البنية التصورية للمتلقي، فعود الكبريت في يد الرجل يستدعي من ذاكرة المتلقي صورة الرجل القوي، ولذلك كان التركيز على رأس العود الكبريتي، كمصدر القوة، كذلك إشعال الشمعة ووضعها بجوار الوردة الحمراء يرمز إلى عاطفة الحب الملتهبة، فأوحى ذلك للمتلقي مجموعة من العبارات التي لم ينطق بها الإشهار، معتمدا على المخزون الذهني لدى المتلقي في بنيته التصورية وهنا يبدو دور الاستعارة التصورية

(١) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: ١٣٠.

في إثارة المخزون الذهني للمتلقي والاستدعاء منه، والاعتماد عليه كمصدر للبنى التصورية .

المثال الثاني للبوعمراني، وقد اقترضه من فوكونيي وتيرنر: " من أجل إقامة حملة لمقاومة التدخين في كاليفورنيا، وقع تعليق لافتة كبيرة تحمل صورة راع البقر في هيئة انتصاب وشموخ، وهذا الراعي يقول: تحذير التدخين يسبب العجز الجنسي. وبين يديه تظهر صورة سيجارة متهدلة، هذه اللافتة الإشهارية تضم جملة من الاستعارات التصورية المركبة، شكلت بالنسيج التصوري الذي أقامته قوة تأثيرية كبيرة، ومن هذه الاستعارات: راعي البقر فحل (رمز القدرة الجنسية)، وهو تصور سائد في الغرب الأمريكي، الرجل القادر جنسيا هو الرجل غير المدخن، القضيب سيجارة (صورة السيجارة المتهدلة) .

الإسقاط بين الأفضية: هذه الاستعارات وقع المزج فيها بين فضاءين، الأول تمثله صورة راعي البقر الذي تمثل السيجارة جانبا من رجولته وسلطته الجنسية، ومن هيبته واستقلاله الاجتماعي، والفضاء الثاني تمثله صورة الرجل العاجز جنسيا، حيث سيقع إسقاط خصائص الفضاء الثاني على الفضاء الأول، لتضحي صورة راعي البقر وصورة المدخن عموما (وراعي البقر طراز للمدخنين) هي صورة العاجز جنسيا، هذا الإشهار بما وظفه من استعارات قادر على التأثير في المتقبل وإقناعه بالإقلاع عن التدخين [1] .

إننا أمام فضاءين (فضاء الراعي القوي) و(فضاء الرجل العاجز جنسيا) فنسقط خصائص الفضاء الثاني على الأول؛ ليتحول راعي البقر القوي + السيجارة إلى = رجل عاجز جنسيا، وهنا يظهر دور الاستعارة المفهومية وعملية الإسقاط المفهومي بين الأفضية في بناء البنية التصورية عن الشيء فقد فهمنا تأثير السيجارة على المدخن؛ من خلال تحول صورة

(١) دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني: ١٣١.

راعي البقر القوي إلى رجل ضعيف عجز جنسيا، وهذه المقابلة تقوم على عملية الإسقاط لخصائص الثاني على الأول.

الاستعارة تقوم علي مبدأ أساسي عرفاني يتمثل في أننا نتمثل مجالا ما على أساس مجال آخر يتوسط علاقات الإسقاط المفهومي، والإسقاط المفهومي: هو جملة التناسبات، تقوم بين مجالين عنصرا بعنصر، أو مكونا بمكون، فيكون الواحد من المجالين مجالا مصدرا والآخر مجالا هدفا، ويجري بذلك إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف وتتمثل عملية الاستعارة في قيام تلك التناسبات[1].

هذه هي عملية ميكانيكية للاستعارة العرفانية في أبسط صورة (من إسقاط معارف المجال الثاني على المجال الأول، لفهم المجال الأول من خلال عملية الإسقاط هذه) ذاك دورها في فهم الصورة الإشهارية وبناء البنية التصورية عنه في ذهن المتلقي.

(ب) إشهارات عرفانية في القرآن:

قد فهمنا فيما سبق معنى العرفانية والإشهار العرفاني ودور الاستعارة في ذلك، وذكرنا أمثلة من الإشهار المعاصر توضح عمل الاستعارة المفهومية في الإشهار العرفاني؛ بقي أن نبحث عن وجود هذه الظاهرة في الإشهار القرآني، لقد جاءت هذه الظاهرة إما لتوضح شيء غيبي، أو شيء مادي مستعينة في ذلك بالمعارف المخزنة في البنية التصورية للمتلقي، فكان الحاضر وسيلة لفهم الغائب، كما تفعل الاستعارة المفهومية.

أولا: وصف الشيء الغيبي بالمادي الحاضر:

(١) وصف مساحة الجنة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

(١) النص والخطاب: ٢٣٦.

نستطيع أن نفهم مساحة الجنة (عالم غيبي) المجال الأول؛ عن طريق استعارة شيء مادي؛ هو مساحة ما بين السماوات والأرض (عالم مادي) هي المجال الثاني، وذلك من خلال إسقاط المعارف المتعلقة بمجال المصدر (مساحة ما بين السماوات والأرض) وهي معلومة بالعين، ومخزنة في البنية التصورية للمتلقي؛ على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف (مساحة الجنة)، وبذلك تبنى في البنية التصورية لنا صورة للجنة، وبذا نكون قد فهمنا شيئا غيبيا (الجنة) .

(٢) قيمة الإيمان بالله:

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠)تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)**﴾[الصف:١٠-١١] .

لقد وصف الحق قيمة الإيمان به وبرسوله بالتجارة الرابحة، التي تنجيكم من عذاب أليم؛ وذلك من خلال استعارة شيء مادي (التجارة الرابحة) لوصف شيء غيبي (الإيمان) وهنا تم مراعاة ثقافة المتلقي؛ وهم أهل مكة، فأعظم شيء عندهم وتشتاق إليه أنفسهم هو التجارة الرابحة فهي حرفتهم الأولى التي يجيدونها ويحبونها، فقدم لهم الإيمان على أنه تلك التجارة التي يحبونها، ويسعون من أجلها في البلاد .

لقد تم استعارة هذا الميدان (التجارة) لفهم ميدان آخر (الإيمان) فتم إسقاط المعارف المتعلقة الميدان الأول (التجارة) على المعارف المتعلقة بالميدان الثاني (الإيمان) فتحولت معارف الأول وخصائصه الموجودة في البنية التصورية للمتلقي؛ إلى معارف خاصة بالميدان الثاني (الإيمان) المجهول بالنسبة للمتلقي؛ فاستطاعوا أن يفهموه .

(٣) الباقيات الصالحات:

قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾[الكهف: ٤٦] .

أراد الحق تبارك وتعالى أن يفهمنا شيئا غيبيا، وهو قيمة الباقيات الصالحات التي عنده وحده (عالم غيبي) من خلال استعارة المال والبنون (عالم مادي)، فتم إسقاط معارف المال والبنون؛ فهما زينة الحياة الدنيا؛ وهما أشياء معلومة لكل البشر علي المعارف المتعلقة بالباقيات الصالحات الموجودة عند الله، فتُبني لها في البنية التصورية صورة ذهنية تجعله يفهمها ويسارع إليها.

(٤) ثواب التقوى في مقابل متاع الدنيا:

قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(١٥)**﴾[آل عمران]

لقد صور الحق تبارك تعالى شيئا غيبيا؛ وهو جنة الخلد من خلال استعارة وصف مطول لكل متاع الدنيا الذي زينه سبحانه لنا لنقابل بينه وبين ما عند الله .

ثانيا: وصف المادي بالمادي:

إشهار عن الأخلاق الحسنة: وذلك من خلال الإشهار عن أنكر الأصوات كإشهار تحذيري علي لسان لقمان الذي يحذر ابنه من ذلك .

قال تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾[لقمان: ١٩] .

وهنا إسقاط المعارف المتعلقة بمجال المصدر (أصوات الحمير) على المعارف المتعلقة بمجال الهدف (الإنسان صاحب الصوت المرتفع) .

الفصل الثاني

نظرية المزج المفهومي

١. نشأة نظرية المزج المفهومي:

إنها فرع من النظرية العرفانية تقوم على أدواتها وتستخدم أفكارها، لقد نشأت نظرية المزج من تساؤل في ما به يكون نشوء المفاهيم الجديدة في الفكر البشري، بما يتضمن ذلك من الصور والأفكار والأعمال والمصوغات في جميع المجالات، كما تبلورت للإجابة عن مسائل يكون بها حدوث المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى، فيكون لها معنى جديد غير متوفر في المفاهيم المتمازجة كأن تعبر عن عجز الطبيب، وعدم درايته بتسميته جزارا، أو عن صبر الناقة ومداومتها في السفر بتسميتها سفينة الصحراء وما إلي ذلك، وقد تبين قصور نظرية الاستعارة المفهومية للايكوف عن الإحاطة بنماذج من هذا القبيل؛ إذ لا مجال فيها لتمثيل الطبيب على أساس الجزار، أو للناقة على أساس سفينة، و يظل السؤال مطروحا في ما به كان بناء المعنى الناشئ في كليهما أي الفشل والصبر تباعا، وقد سعت المجالات التي اعتمدت فيه آليات المزج، فكان فيها العبارات المتداولة والنصوص الإشهارية[1].

السؤال الذي يطرحه الأزهر الزناد هو إذا كان عمل الاستعارة المفهومية كما يرى لايكوف؛ هو فهم مجال من خلال مجال آخر؛ فكيف نفهم دور العقل وعمله في الجمع بين شيئين لإنتاج شيء ثالث، لم يذكر في النص إلى جانب الشيئين الآخرين ؟ فإذا قلنا: زيد أسد، جلس في مجلسنا أسد، فقد استعرنا من الأسد صفة الشجاعة؛ لفهم مجال آخر هو شجاعة زيد (استعارة مفهومية).

---

(١) النص والخطاب: ٢٦٥.

المزج المفهومي:

يقوم بالجمع بين مجالين مختلفين لإنتاج مجال ثالث كما في الشكل: مجال أول (طبيب) + مجال ثان (جزار) >>> مجال ثالث (طبيب فاشل) .

ومثله: مجال أول (ناقة) + مجال ثان (سفينة) >>> مجال ثالث (شدة صبر الناقة) .

هذا تصور بسيط لعمل نظرية المزج المفهومي وعلاجها للقصور الذي في الاستعارة المفهومية والجديد الذي تقدمه لنا، لقد دخلت هذه النظرية في عالم الإشهار فقدمت فكرتها له؛ بعمل إشهارات تقوم علي عملية المزج هذه .

١.١ أصل المزج المفهومي:

هذه الدراسة التي تقوم على المزج بين شيئين لإنتاج ثالث ليست جديدة لأنها تقوم على ملكة عرفانية هي ملكة المزج، فالمزج ملكة عرفانية بمعنى أنها جملة عمليات طبيعية يقوم عليها اشتغال الذهن في جميع مظاهره بصورة طبيعية آلية. والمزج ملكة حركية مرنة عاملة زمن التفكير (آن ـ قولية)، والمزج جزء من العرفانية الخلفية أو الباطنية تشتغل من وراء الستار مفلتة من الوعي، ويكون ناتجها في مستوى الوعي أعمالا عرفانية بسيطة مباشرة في ظاهرها، ولكنها في الواقع وليدة عدد من القوانين على غاية من التعقيد تشتغل في العرفانية الخلفية تكون ما يطلق عليه شبكة المزج المفهومي [1] .

نستنتج من هذا القول عدة نقاط:

١ـ المزج ملكة عرفانية: ترجع إلى الطبيعة البشرية، متأصلة في كل إنسان، يقوم عليها اشتغال الذهن البشري؛ بطريقة آلية عفوية أثناء الكلام .

(١) النص والخطاب: ٢٦٦.

٢- **المزج عملية آنية:** فهي عملية تفكير تتم أثناء الكلام، بل يقوم عليها الكلام؛ وما يحدث فيه من حوارات وجدال، وتقوم الخلفيات الذهنية التي لدى المتكلم والسامع بإدارة الحوار وتوجهه، وتشير إلى هذه الخلفيات شفرات القول التي لا يحلها إلا المتكلم وبعض المستمعين بناءً علي تلك الخلفيات .

٣- **المزج عملية تتم في ما وراء الوعي:** هذا ما يظنه بعض الدارسين، ولكن حقيقة القول غير ذلك؛ فهي عملية عقلية معقدة؛ تتم من خلال إدراك ووعي تامين ليكون توجيهها للفرد صحيحا، ولكنها تتم بطريقة آلية عفوية متكررة؛ ونظرا لتكرارها الدائم في كل لحظة في حياة الإنسان يبدو لنا أنها آتية من اللاوعي، فهي تشبه عملية قيادة السيارة للشخص المحترف؛ فنظرا لتكراره الدائم لها أصبحت تتم منه بطريقة آلية عفوية، حتى قالوا: إنه يقود السيارة وهو منشغل بأعمال أخرى، أو ربما وهو نائم، نظرا لتكرار هذه العملية، وما يعتريها من صدمات على ذهنه يصبح الحل متكررا بصورة آلية آنية عفوية لكنها ليست من وراء الوعي، فالإنسان يفكر بطريقة، معقدة تصنع مستويات للتفكير ومستويات لإدراك هذا التفكير .

٤- **المزج عملية معقدة تخضع لعدد من القوانين:** التي تحكمها وتوجهها، وهي تتم في شكل شبكة من العمليات المزج المفهومي. هذا القول يؤكده ما سبق وهو تعقد عملية التفكير وآلياته الباطنية .

٢.١ المزج و بعض الدراسات التطبيقية المماثلة:

إن عملية المزج عملية عرفانية تلقائية يقوم بها كل فرد، دون أن يشعر بها أو يطلق عليها هذا الاسم، وتظهر هذه العملية من خلال كلام الفرد وطريقة تفكيره. ولقد قمتُ بدراسات مختلفة على بعض فنون

القول التي تظهر فيها عملية المزج، وتأثيرها على الكلام، وذلك من خلال الدراسات الآتية :

١ـ **الإتباع والمزاوجة في ضوء الدرس اللغوي الحديث:** ناقشت المعنى الناتج عن هذه العبارات نحو: فلان لا يملك حلوبة ولا ركوبة. أي أنه فقير، وهو المعنى الثالث الناتج عن الجمع بين معنيين (لا يملك دابة يركبها + لا بقرة يحلبها) ورغم عدم نطق المتكلم بكلمة فقير في العبارة، فهي عملية مزج بين كلمتين لإنتاج معنى غير منطوق؛ ولكنه يفهم منهما .

٢ـ **التوليد الدلالي في المثنيات:** يبتكر المتكلم اسما يطلقه على شخصين، يمزج فيه بين صفتين معروفتين شائعتين في الشخصين، نحو: الصحيحان، الشيخان، القريتين والأسودان فالكلمة الأولى تشير إلى كتابي الحديث (صحيح مسلم وصحيح البخاري) والمعنى الجامع بينهما هو صحة روايتهما، وكذلك الشيخان: عمر بن الخطاب وأبو بكر الصديق، والمعنى الجامع بينهما أنهما من شيوخ الإسلام، القريتان: مكة والمدينة، والأسودان التمر والماء والجامع بينهما اللون الأسود، أما الماء فعديم اللون .

٣ـ **العلاقة الدلالة بين المتضايفين بين التوليد والتأويل:** حيث تقوم عملية المزج بالجمع بين صفتين مخلفتين يمثلان معنيين مختلفين لإنتاج معنى ثالث، نحو: أصدقاء الشيطان، فالصداقة تعنى: المحبة والترابط + الشيطان تعنى: السوء في كل شيء = فيكون المعنى الناتج (صداقة السوء) .

ملاحظة عامة في هذه الدراسات أنها ـ غالبا ـ تشير إلى معنى غير منطوق، لكنه موجود نتيجة لعملية المزج المفهومي بكل عبارة، كما في هذا الشكل :

المعنى الأول	المعنى الثاني	المعنى الثالث	منطوق أم لا	اسم الظاهرة
لا يملك راحلة	لا يملك حلوبة	فقير معدم	فقير غير منطوق	الإتباع والمزاوجة
صحيح مسلم	صحيح البخاري	صحة الرواية فيهما	الصحيحان منطوق	المثنيات
الصداقة	الشيطان	صداقة السوء	صداقة السوء غير منطوقة	التركيب الإضافي

٣.١ عناصر شبكة المزج المفهومي:

تتكون شبكة المزج المفهومي من عناصر هي قوائم ودعامات هذا العمل :

- الأفضية الذهنية .
- عملية الإسقاط ما بين الأفضية .
- عملية المزج والإسقاط الانتقائي .
- التركيب والإكمال والبلورة .

دراسة عملية المزج المفهومي تعني تحليل عملية المزج التي تتم في ذهن المتكلم أثناء كلامه، حيث يرتب على أثرها أفكاره، ثم يختار من مخزونه اللغوي الألفاظ التي تناسب الحدث، في إطار عملية تفاعلية عرفانية داخل ذهن المتكلم، ويقوم المستمع بإجراء عملية مماثلة في الاتجاه المقابل، ليفهم كلام المتكلم. ولكي نفهم هذه العملية المعقدة؛ لا بد أن نعطي فكرة عن عمل تلك العناصر الخاصة بشبكة المزج المفهومي .

أولا: الأفضية الذهنية:

أربعة أفضية منها فضاءان دخلان وفضاء جامع وفضاء المزيج، كل واحد من الفضاءين الدخلين يمثل مصدرا للإسقاط؛ يمتزجان بمقتضاه

في الفضاء المزيج، ويترابط الفضاءان في الفضاء الجامع، وهو إطار خطاطي يجمع العناصر المشتركة بينهما .

ثانيا: عملية المزج:

هي عملية مزج يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدخلان تطابقا جزئيا وينعكس قسم من عناصر كل منها عن طريق الانتقاء في فضاء رابع، هو الفضاء المزيج. والفضاء المزيج فضاء تتوالف فيه مكونات مختلفة من الفضاءين فينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الدخلين. يقوم المزج على عدد من العمليات هي: التركيب والإكمال والبلورة .

أ) عملية التركيب: فتحدث بإسقاط مضامين كل من الفضاءين الدخلين رأسا في الفضاء المزيج، وذلك بأن تنشأ علاقات جديدة لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين .

ب) عملية الإكمال: يقوم الإكمال على إكساء المعاني أو التصورات الناشئة جملة من الأبعاد تستمد من المعارف العامة المشتركة، ومن التجربة الجماعية المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى، فهي عملية تبعا لمصادرها وطبيعتها، والإكمال في العموم انشأ لمعان جديدة لا يحملها منطوق الفضاء المزيج .

ج) عملية البلورة: فتمثل تطويرا للمزيج من حيث تصوره وتخيله بتوسيع مداه وتفضيله وأبعاده وتحميله بدلالات مخصوصة رمزية كانت أو غير رمزية [1] .

(١) النص والخطاب: ٢٦٦.

٤.١ الفرق بين الاستعارة المفهومية والمزج المفهومي:

الاستعارة المفهومية:

عملية تصور تُبْنى في الذهن عن شيء ما، من خلال البنية التصورية عن شيء آخر؛ مخزنة في ذهن المتلقي من قبل .

هذا العمل الاستعاري توضيحي تفسيري لشيء ما عن طريقة شيء آخر، لذا فهو عمل قاصر محدود القدرة لا إبداع ولا خلق فيه، فهو شرح وتوضيح وإفهام فقط ويكون الجانب الإبداعي الوحيد فيه هو اكتشاف نقطة الالتقاء بين الشيئين، فهو يحتاج إلى عين لاقطة كما قال أرسطو.

والاستعارة المفهومية جزء من النظام العرفاني فهي أداة مفهمة وتمثيل للمفاهيم وتصور للعالم يعم كل مظاهر الفكر ما اتصل منها بالمفاهيم المجردة وبالمجالات الأساسية من قبيل الزمن والأوضاع والمكان والتغيير والأحداث والعلاقات وما إلي ذلك، فالاستعارة عند لايكوف هي إسقاط عابر للمجالات في النظام المفهومي، والعبارة الاستعارية تحقيق سطحي لتلك العمليات من جملة تحقيقات أخرى، هذا يقابل البنية السطحية والبنية العميقة عند تشومسكي الذي يرى أن الجملة يتم بناؤها أولا في البنية العميقة للمتكلم، ثم يتم ظهورها على السطح في البنية السطحية عن طريق عمليات تحويلية .

المزج المفهومي: تبين قصور نظرية الاستعارة المفهومية عن الإحاطة بنماذج قامت عليها نظرية المزج، حيث نشأت من السؤال في ما به يكون نشوء المفاهيم الجديدة في الفكر البشري، بما يتضمن ذلك من صور وأفكار وأعمال وخضوعا في جميع المجالات، فيكون حدوث المفاهيم مزيجا من مفاهيم أخرى، فيكون لها معنى جديد غير متوفر في المفاهيم المتمازجة، كأن نعبر عن عجز الطبيب وعدم خبرته أو درايته بكلمة

جزار، أو نعبر عن قوة صبر الناقة بالصحراء بكلمة سفينة، ويمكن تصور عملية المزج بهذا الشكل :

(أ) شيء له سمات انتقائية خاصة ـــ >>

جمع (أ & ب) في البنية التصورية بعملية المزج ـ >> (ج) معنى ثالث جديد .

(ب) شيء له سمات انتقائية خاصة ـــ >>

من هذا الشكل يتبين الفرق بين الاستعارة المفهومية والمزج المفهومي، لكن هذا لا يعنى عدم جدوى أو فائدة الاستعارة المفهومية في عملية الكلام والتواصل بين البشر، فهي تمثل جانبا من التفاعل الذهني لفهم أشياء وأمور كثيرة في الحياة، ومن بين تلك الأمور قضية الإشهار، فهي تستخدم لفهم أشياء غيبية باستعارة أشياء مادية حاضرة، فلا يمكننا فهم مساحة الجنة إلا باستعارة مساحة السماوات والأرض .

٥.١ آلية عمل شبكة المزج المفهومي لإنتاج المعنى الجديد:

تقوم شبكة المزج المفهومي بالجمع بين الفضاءات المختلفة، لخلق معنى جديد وتبدأ هذه العملية بسماع عبارة مثل (الناقة سفينة الصحراء) فيقوم عقل السامع لإدراك المعنى المقصود من العبارة غير المنطوق، أي الذي يفهم منها؛ بإسقاط الدخل (أ) الناقة بكل سماتها وصفاتها على فضاء المزيج، وإسقاط الدخل (ب) السفينة بكل سماتها وصفاتها على فضاء المزيج، ولكن في شكل خطوط مستقيمة، تتجمع داخل فضاء المزيج، ثم في الفضاء الجامع، فيحدث تقابل بين تلك الصفات والسمات المتشابهة من الشيئين: أ،ب؛ لتبنى صورة جديدة في البنية التصورية للمتلقي؛ عبارة عن المعنى الثالث الحديد، فيتم بلورته من خلال فضاء المزيج في عدة عمليات هي (التركيب، الإكمال، البلورة) ثم تلي تلك العملية عملية الإسقاط الانتقائي التي يجتهد فيها الذهن في البحث عن

نقاط التشابه بين الدخلين في الفضاء الجامع، ليظهر المعنى الجديد في ثوبه اللفظي الجديد (الصبر) وهو غير الموجود في العبارة، ولا يظهر في كل لفظة مستقلة من اللفظتين (الناقة & سفينة) .

وهي عملية تتم في سرعة البرق ولا نكاد نشعر بها، ولا بمراحلها السابقة فهي مراحل تصورية لمجرد الدراسة والتحليل فقط .

كيف نشعر بعملية المزج المفهومي في مواقف حياتية مختلفة ؟

يمكننا ملاحظة عمل نظرية المزج المفهومي عبر مواقف بسيطة كالآتية :

(أ) عملية الخلق والإبداع عند الأديب: نلاحظ في عملية الإبداع الأدبي بحث الأديب عن كلمة مناسبة في ذاكرته، حيث يقوم بعصر ذهنه باحثا عن هذه الكلمة، وتتم عملية البحث من خلال عمليات ذهنية مزجية، يستعرض فيها كل ما في ذاكرته من ألفاظ تتصل بهذا المعنى، فيختار من بينها اللفظ المناسب، فيتكون في ذهنه اللفظ الجديد حاملا دلالة جديدة .

(ب) العمليات العقلية التي يقوم بها الشخص العادي بصورة يومية: عندما يحاول وصف شخص أو وصف شيء ما، فإنه يقوم بالعملية نفسها لإنتاج لفظ يجمع فيه كل هذه الصفات، إنه يجمع بين صفات الشخص أو الشيء، ثم يبلورها ويلخصها في شكل كلمة واحدة تصور ذلك .

(ج) الخطأ في عملية المزج: قد يحدث أن يخطئ المتكلم في اختيار الكلمة المناسبة التي تعبر عن المعنى الذي يقصده، فيقول لمحدثه لقد خانني التعبير أي أنني أخطأت في عملية اختيار الكلمة المناسبة، فهنا تكون عملية المزج قد فشلت، حيث جمع المتكلم فيها بين المعاني المختلفة في ذهنه؛ ليمزج بينها بالطريقة التي تحدثنا عنها آنفا،ليخرج علينا منها بمعنى جديد، أو مناسب لما يتحدث عنه، ولكنه عند اختيار

اللفظ المناسب أخطأ، وهنا ندرك وجود هذه العملية (المزج) في أذهاننا، وأثرها ونتائجها رغم أنها لم تنجح في هذه المرة .

(د) عناوين النصوص: تعتبر عملية صياغة عنوان لنص أدبي (قصيدة. قصة رواية. مسرحية. خطبة) عملية مزج مفهومي، حيث يسعى واضع العنوان إلى جمع كل أفكار وسمات النص في كلمة أو أكثر، لذا فهو يقيم عوالم ذهنية مزجية موسعة، يخلط بينها ليخرج بهذا العنوان، كأن يقول شخص: ماذا قال الخطيب؟ فتقول: تكلم عن "الصيام" أو "الصلاة" فنلاحظ أن المتكلم قد مزج بين كلمات الخطبة وأفكارها ليخرج بهذا العنوان ملخصا الخطبة في كلمة .

هذه أمثلة لصور من عمليات المزج المفهومي الذهني التي تحدث لنا يوميا .

٢. مجالات المزج العرفاني:

يتجاوز المزج من حيث هو آلية عرفانية عامة المظهر اللغوي من مجرد كلمة أو عبارة أو نص كامل، فيشمل المزج كل ما يكون به اشتغال الذهن في إطاره الجسدي وفي محيطه، أي أن دائرة المزج العرفاني تتسع لتشمل كل ما يعمل فيه الذهن، وتدخل اللغة ضمن هذه العملية لأنها الوسيلة التي تتم من خلالها عمليات الذهن في المستوى العميق قبل الظهور على السطح (البنية السطحية الدلالية) وكذلك الجسد الذي نحيا فيه، فإننا نتعامل معه وبه في عمليات عقلية مماثلة للتي تحدث عند الكلام، فتوظيف العقل في توليد معان جديدة، وكذلك كل ما يحيط بنا يشاركنا في هذه العملية (عملية المزج) إنّنا نتعامل مع كل هذه الأشياء من خلال عمليات عقلية يقوم فيها العقل بدور القائد المخطط (المايسترو ـ الليدر) الذي يأمر ويوجه .

ويمكن ملاحظة مجالات عمل هذه النظرية من خلال أنشطة غير لغوية في حياتنا اليومية ؛ نحو:

وضعية التزلج علي الجليد:

من المجالات التي يتجلي فيها المزج المفهومي في نشاط غير لغوي قوامه وضعيات مادية متنوعة، يكون فيها ناتج المزج حركة أو هيأة أو مصنوعا مزيجا، من ذلك... المدرب الذي يعلم شخصا التزلج على الجليد. يسعى المدرب إلى تلقين الشخص المتعلم جملة من الهيئات يقتضيها عمل التزلج تكون للجسم كاملا وللذراعين وللعينين في أوضاع التزلج المختلفة تبعا للتضاريس، وخاصة عند الانحدار. إذ يقتضي الانحدار النظر إلى المنحدر في امتداده وتعريجاته بدل تركيز النظر على المزلاجين أو علي ما هو أمام المتزلج رأسا، وهذا يمثل الفضاء الذهني الدخل الأول، فقد يعمد المدرب إلى أن يطلب منه أن يتمثل هيأة نادل في بعض المطاعم أوالمقاهي فيستحضرها وهو يحمل الأطباق بما عليها من أكواب مليئة أو فارغة ومن مأكولات، ويجول بها بين الموائد دون أن يريق أو يسقط منها شيئا. وهذا الفضاء الدخل الثاني. فيكون من المتزلج المتدرب هيأة، وحركات قريبة من المطلوب في الانحدار، هي متولدة من المزج بين الفضاءين. فيكون في هذا أربعة أفضية:

يتمثل الفضاءان الدخلان في وضعية التزلج من جهة ووضعية النادل من أخرى، وبينهما تناسب عن طريق الإسقاط في هيأة الذراعين والنظر بالعينين، وهو إسقاط جار في ذهن المتدرب وفي ذهن المدرب، وفي الفضاء الجامع هيأة الجسم والحركة مطلقا، أما الفضاء المزيج ففيه تمتزج هيأة النادل بهيئة المتدرب، فيكون في آن متزلجا يحمل طبقا ونادلا يتزلج، ويكون الناتج حركة أو تنقلا ماديا في المكان على مزلاجين[1].

(١) النص والخطاب: ٢٧١ نقلا عن فوكونياي (٢٠٠١، ٢٠٠٥).

تحليل المثال:

أولا: الهدف من عملية المزج:تحقيق هيأة يكون عليها المتزلج عند التزلج .

ثانيا: الأفضية الذهنية التي تقوم عليها بناء هذه العملية:

١ـ الفضاءان الدخلان: هما وضعية (أ) التزلج، ووضعية (ب) النادل.

التناسب بينهما: يأتي من إسقاط هيأة الذراعين والنظر بالعينين في ذهن المدرب والمتدرب .

٢ـ الفضاء الجامع: هيأة الجسم والحركة مطلقا .

٣ـ الفضاء المزيج: يمتزج فيه هيأة النادل بهيأة المتزلج المتدرب .

ثالثا: الجمع بين الأفضية: يكون ببناء تصور لشخص في آن متزلجا يحمل طبقا، ونادلا يتزلج .

رابعا: الناتج: حركة أو تنقلا ماديا في المكان على مزلاجين .

انظر إلى هذا الشكل :

دخل (أ) وضعية التزلج + دخل (ب) وضعية النادل ــ >>> إسقاط بينهما في الفضاء الجامع >>> المزج بين الهيئتين في الفضاء المزيج >>> الناتج حركة أو وضعية صحيحة يكون عليها المتزلج .

٣.المزج المفهومي في الإشهار :

يقول الأزهر: " من الثابت أن الإشهار خطاب يتعمد فيه صاحبه إلى إجراء موارد رمزية متنوعة، الغاية منه حمل المتقبل على الإقبال على البضاعة موضوع الإشهار، يكون ذلك بتزينها عنده لإغرائه... ولكن السؤال في ما به ينشأ الدافع عند المتلقي؛ فيقبل علي البضاعة ؟

" تتشعب الطرق في هذا المستوى... ولكننا نعتقد أن وراء جميع ذلك مظهرا عرفانيا متشابك المكونات والموارد، قد يكون المزج من أهمها

وأبرزها أثرا ، والمهم ليس في تفسير الغاية ، وإنما في بيان القنوات الرمزية المؤدية إليها والآليات المشتغلة عندها فيها " [1] .

إن الإشهار عملية عقلية تقوم على إقناع المتلقي بالسلعة المقدمة له، ولكن كيف ينشأ هذا الإقناع، أو هذا الدافع داخله للإقبال على السلعة ؟ لقد تعددت عوامل الإقناع ما بين عامل نفسي وآخر اجتماعي وثالث نفعي وغيرها .

لو نحينا تلك العوامل جانبا، ونظرنا إلى جانب آخر يحركها ويوجهها؛ لوجدنا عملية كبرى تحدث في داخل عقل المتلقي، هي عملية المزج المفهومي التي يمزج فيها المتلقي بين مجموعة من العوامل والعناصر في داخل عقله هو؛ ليقنعه بتلك السلعة، إنها عملية صراع بين تلك الأشياء داخل عقله؛ لتصل إلى نتيجة مفادها " يجب أن نشترى هذه السلعة، أو هي لا تصلح لنا ".

إننا نحاول أن نخرج من عملية التحليل السابقة إلى عملية التطبيق عليها، من خلال عملية المزج المفهومي، أي من مجال (التدريب على التزلج) إلى مجال آخر (عملية الإشهار) فالإشهار عن سلعة تقوم على إقناع هذا المتلقي بالسلعة؛ من خلال العملية العقلية نفسها التي يقوم بها المدرب في تعليم هذا المتزلج، بكل خطواتها ولكن في مجال آخر هو مجال الإشهار .

٤. أمثلة تطبيقية علي عملية المزج في الإشهار :

(أ) من الحياة اليومية:

يذكر الأزهر الزناد مثالا للمزج في الخطاب الإشهاري (الكلمة والصورة) وسنتناول هذا المثال بإعادة العرض والتحليل والتلخيص في نقاط؛ وذلك لتوظيفه في تحليل الإشهارات القرآنية .

---

(١) النص والخطاب: ٢٧٤.

يقول الزناد: " اخترنا من أدوات الإشهار ما يكون فيه الخطاب والصورة مجتمعين متضافرين متكاملين في النشاط الإشهاري؛ لإحداث الأثر باعتماد آلية المزج المفهومي ما بين المضامين في الصورة ومضامين الخطاب وما بين الواقع والتمثيل، وما بين المخزون في الذاكرة الفردية و/ أو الجماعية والآني الحاضر. واتخذنا لذلك نموذجا أسميناه المرهم غشاء / حجابا "[1] .

عناصر صورة الإشهار: هو إشهار عن مرهم للبشرة، يتكون من صورة لوجه فتاة + عبارات تتضمن اسم المرهم وفوائده والشركة المنتجة، ويغطي نصف الوجه غشاء رقيق، والنصف الثاني مكشوف + صورة أخرى لفتاة أخرى تضع يدها على عينيها من أشعة الشمس + صورة لعلبة المنتج .

المكونات اللغوية: العبارات التي كتبت على لوحة الإشهار:

(أ) العنوان : نصه " غشاء ملون من مخابر فيتيال " .

(ب) الفقرات بعناوينها :

١ـ مرهم مرطب . ٢ـ مقاوم لتحويق العينين.

٣ـ ملون أساسي للبشرة . ٤ـ غشاء تام.

٥ـ مسحوق ملمع .

(ت) عبارة مكتوبة بخط بارز:

" المرهم لا يباع إلا في الصيدلية "

(ث) علامة الشركة المنتجة في ثلاثة مواضع باللوحة:

"فيتيال".

هذا الإشهار يُعرض من خلال لوحة في بعض الصحف التونسية، وهي قائمة على التواصل البصري أساسا، حيث يدرك المتلقي هذا الإشهار

(١) النص والخطاب: ٢٧٤.

عن طريق البصر، ثم تقوم عمليات عرفانية في ذهنه لتبين التفاعل بين المتلقي واللوحة بما يكون في ذهنه من عمليات تنشط برؤية اللوحة، وتأملها بما ينغرس في ذاكرته البصرية من صور؛ تهم البضاعة موضوع الإشهار؛ بتضافر الأدوات اللغوية المكتوبة والصور .

تأثير اللوحة بمكوناتها: " لهذه اللوحة الإشهارية فعل في القارئة، وأثر فيها على غاية من القوة، أساسها قدرة عجيبة في تصور اللوحة بأدواتها جميعا وخاصة صورة الوجه من الفتاة، وفي اشتغال آلية المزج تُستحضر بها العناصر المتمازجة استحضارا واحدا فوريا، كلا بإطاره؛ ليكون المفهوم المزيج حادثا جديدا فريدا بديعا، ولعله من فضول القول أن نذكر بأن هذه الآليات تشتغل اشتغالا عفويا إذ هي من آليات العرفنة عامة، معنى ذلك أننا لا ندعي أن مصمم اللوحة، قد فكر في جميع ما ندعيه في ضوء نظرية المزج [1] .

الأفضية الذهنية التي تولدها اللوحة في ذهن القارئة :

تولد هذه اللوحة بمكوناتها في ذهن القارئة مجموعة من الأفضية، هي أساس عملية المزج، وعناصر تفاعلها في ذهنها، فقارئة الإشهار تُثار في ذهنها مجموعة أفضية، يتم المزج بينها في عملية المزج؛ لتوليد معان مختلفة تصل إلى الذهن، فتنتج الإقناع لدى القارئة، و لولا هذه الأفضية وعملية المزج بينها ما حدث الاقتناع بهذا المنتج، ولكن لا يشترط أن يكون ذهن القارئة قد أدرك كل تلك الأفضية ومزج بينها، بل هو تصور للباحث فقط، قد يحدث في ذهن القارئة أو لا يحدث، أو ربما يحدث أكثر مما ذكره الباحث وتصوره؛ فمن هذه الأفضية:

١ـ فضاء الصيدلة: يخلق هذا الفضاء في ذهن المتلقي عدة أشياء: ضمان. أمان. جودة. علاج. تعقيم. دواء. شفاء. وقاية. أدوات مخبرية. نجاعة المرهم .

(١) النص والخطاب: ٢٨٣.

٢ـ **فضاء العلامة التجارية:** يخلق في ذهن المتلقي عدة أشياء: مخابر فيتيال. بلد الصنع. أصالة المنتج. الضمان التجاري. الاسم التجاري. العناية بالمنتج .

٣ـ **فضاء الصيف:** الشمس. السباحة. حرارة. زرقة السماء. الظل. المظلات...

٤ـ **فضاء اجتماعي:** الحفاظ على البشرة. دوام الشباب. الجمال قيمة اجتماعية .

٥ـ **فضاء الفتاة (الجمال):** نضارة. صفاء البشرة. جمال. راحة. أناقة. حيوية.

٦ـ **فضاء الملبس:** القناع. ساتر. واق. النظارة الشمسية .

القارئة: يجرى إسقاطها في المزيج من حيث هي امرأة تحتاج إلى الخروج في الشمس، تحافظ علي نضارتها وصفاء بشرتها وجمالها، وتبحث عن الراحة والأمان، وهي نفسها تُسقط نفسها على صورة الفتاة فترى نفسها فيها، أو ترى نفسها هي [1] .

هذا يعنى أن الناظر إلى تلك اللوحة الإشهارية، يحلق بذهنه من خلالها في عدة أفضية هي فضاءات اللوحة التي ذكرناها آنفا، فكل إنسان ينظر إلى الفضاء الذي يستهويه منها ويسبح فيه، إلى جانب مجموعة من العلاقات :

١ـ كعلاقة الزمن الذي يكون به الإسقاط ما بين أزمنة متعددة، أي الربط ما بين تلك الأفضية في فضاء المزيج مع فضاء الزمن؛ كعنصر هام يستحضره الناظر إلى اللوحة ضمن ما يستحضره خياله، كزمن الذهاب للبحر، أو العودة منه بعد الصيف، وأثر المرهم على القارئة في الزمنين .

٢ـ علاقة السبب بالنتيجة: المرهم سبب لدوام الشباب ونتيجة له؛ فيبعد الشيب .

---

(١) النص والخطاب: ٢٨٣.

٣. علاقة المكان: مكان البحر والشاطئ، ومكان الصيدلية، والشمس الساطعة .

٤. علاقة الجسد: حيث يتجسدن ذلك كله في ذهن القارئة .

بهذه العمليات يتم تصور هذا المنتج، وقيمته التي لم ينطق بها الإشهار.

(ب) مثال قرآني:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنْ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣)﴾[البقرة] .

أولا : السلعة المطلوبة: (بقرة)

ثانيا: صفات البقرة:

طلب نبي الله موسي من بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة، إجابة على سؤالهم من قتل هذا الرجل ؟ فبدأ سؤالهم عن صفات هذه البقرة، وبدأ رسم لوحة لهذا السلعة المطلوبة (البقرة) من خلال عدة أفضية يمثل كل فضاء جانبا من اللوحة؛ لتكوين صورة كاملة عن السلعة المطلوبة، وهذه الأفضية هي :

١. **عمر البقرة:** (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك)، الفارض: اسم للمسنة التي انقطعت ولادتها من الكبر.. والبكر اسم للصغيرة، وزاد

بعضهم ـ التي لم تلد من الصغر. وقال ابن قتيبة: هي التي ولدت ولدا واحدا... عوان بين ذلك أي متوسطة السن، وقيل: هي التي ولدت بطنا أو بطنين[1]، هذا الفضاء يبنى تصورا في ذهن بني إسرائيل لعمر البقرة المطلوبة .

٢ـ **لون البقرة:** (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) لونها أصفر فاقع والفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأبلغه والموصف به للتأكيد كأمس الدابر... (فاقع) ولم يكتف بقوله صفراء فاقعة لأنه أراد تأكيد نسبة الصفرة فحكم عليها أنها صفراء ثم حكم على اللون أنه شديد الصفرة فكأنه قال: فهي صفراء ولونها شديد الصفرة صفرتها تسر الناظرين... والجملة صفة البقرة... تعجب الناظرين إليها[2] هي:

أ ـ صفراء.

ب ـ شديدة الصفرة.

ج ـ تسر الناظرين.

د ـ لا شية فيها: أي لا لون فيها يخالف لونها الأصفر.

٣ـ صفات البقرة الوظيفية:

أ) لا ذلول: الذلول الريض الذي زالت صعوبته، يقال دابة ذلول بينة الذل .

ب) تثير الأرض: أي أنها تثير الأرض بغير الحرث بطرا ومرحا، ومن عادة البقر إذا بطرت تضرب بقرنها وأظلافها فتثير الأرض؛ دليل أنها لا ذلول .

ج) لا تسقى الحرث: أي لا تعمل في سقاية الأرض للزراعة .

٤ـ حالتها الصحية: مسلمة، سلمها الله تعالى من العيوب، قاله ابن عباس[3] .

---

(١) روح المعاني: للألوسي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، المجلد الأول، ج١، ص٤٣٤ .
(٢) روح المعاني: ج/١، ص٤٣٧.
(٣) المرجع السابق: ج/١، ص ٤٤١، كل الصفات السابقة نقلا عن روح المعاني للألوسي .

ثالثا: تحليل عملية المزج:

كل وصف مما سبق في البقرة (عمرها ـ لونها ـ صفاتها الوظيفية ـ صفاتها الصحية) هو فضاء يعد دخلا لتصور تلك السلعة (البقرة)، فعلى الباحث عن هذه البقرة وهم بنو إسرائيل أن يجمع تلك الأفضية السابقة في ذهنه لبناء تصور عنها بتحديد ملامحها أولا، فالبقرة مجموع هذه الصفات مجتمعه معا، ويتم ذلك بالجمع بين الدخل الأول والثاني والثالث في الفضاء الجامع، ثم المزج بينهم في فضاء المزيج، ثم يقوم بعمليات التركيب والإكمال والبلورة، فيخرج لنا صورة واضحة المعالم لتلك البقرة، أو السلعة المطلوبة، وهنا يظهر دور عملية المزج في الجمع بين أجزاء الصورة؛ لبناء تصور جديد لها، وكذلك الأمر بالنسبة لميلاد المعاني الجديدة علينا؛ تتم بالطريقة نفسها .

هذا المثال القرآني يشبه المثال الذي ذكره الزناد عن سلعته (المرهم غشاء) في أن كل منهما (البقرة ـ المرهم) سلعة يتم بناء تصور عنها في ذهن المتلقي من خلال ذكر صفاتها أو محاسنها، ثم يقوم الذهن بالجمع بين تلك الصفات في الفضاء الجامع، ثم المزج بينها في الفضاء المزيج عن طريق عمليات (التركيب والإكمال والبلورة) لنخرج بوصف دقيق للسلعة وخصائصها .

إنها عملية عقلية عفوية تلقائية، يقوم بها كل إنسان دون أن يشعر بذلك؛ لأنها عملية تتم داخل عقله بصورة غير مرئية، فليست حركة جسدية ظاهرة كما في: جلس أو قام، ولكنها من الأهمية بمكان حيث تمكننا من فهم الأشياء، والتفاعل معها ومع العالم المحيط بنا؛ لهذا يجب الاستفادة منها، وتوظيفها في فهم العمليات العقلية التي تتم داخل عقولنا دون أن نشعر.

وتوجهنا إلى ما ترى؛ حسب المعطيات الواردة لها من حواسنا المختلفة (سمع. بصر. شم. لمس) هذا ما أدركه صانعو الإشهار ووظفوه في إقناع المشترى بسلعتهم ومحاسنها، ذلك ببناء تصور لتلك المحاسن في ذهن المتلقي دون النطق بها .

مثال قرآني آخر:

قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ [التحريم: ٥] .

أولا: السلعة المعروضة: هو إشهار يعرض الله فيه على نبيه نسوة بديلات لزوجاته خيرا منهن يتصفن بثمان صفات تعد كل صفة فضاءً مستقلا يمكن تصور المرأة من خلاله وهي تتنوع ما بين صفات عقائدية وجسدية.

ثانيا: صفات هؤلاء النساء: يبني الحق تصورا لهؤلاء النسوة في ذهن نبيه الكريم من خلال مجموعة من الأفضية، يمثل كل فضاء دخلا يصف جانبا منهن.

وهذه الأفضية هي :

١ـ مسلمات	٢ـ مؤمنات	٣ـ قانتات	٤ـ تائبات
٥ـ عابدات	٦ـ سائحات	٧ـ ثيبات	٨ أبكار

لو جمعنا هذه الصفات في امرأة واحدة لكانت صورة للمرأة التي يعلن عنها الحق بديلا لنساء النبي صلي الله عليه وسلم، ولكن كيف يتم ذلك الجمع ؟

يتم ذلك من خلال عملية المزج المفهومي الآتية:

مجموعة من الصفات (تمثل أفضية الدخل) ـ >>> الفضاء الجامع ـ >>> الفضاء المزيج ـ >>> عمليات مزج مفهومي (تركيب. إكمال. بلورة) ـ >>> تصور للمرأة البديلة (صورة ذهنية) يمكن استحضارها في ذهن المتلقي نتيجة لعملية المزج هذه، فهي مجموع هذه الصفات ممتزجة معا، ويمكن أن يكون الحق تبارك وتعالى أراد أن يبدله بثمان نساء، في كل واحدة منهن صفة من تلك الصفات السابقة تغلب عليها وتعرف بها.

الفصل الثالث

النظرية التداولية والإشهار

١. التداولية:

هي دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى : يتمثل في تداول egatiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي. اجتماعي. لغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.

والتداولية تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيها هو: توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث هو صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى، والتداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفة عامة (معرفية. اجتماعية. ثقافية) [١] .

ميدان دراستها: يتضمن هذا الميدان تفسير ما يعنيه الناس في سياق معين، وكيفية تأثير السياق في ما يقال، كما يتطلب أيضا التمعن في الآلية التي ينظم من خلالها المتكلمون ما يريدون قوله؛ وفقا لهوية الذي يتكلمون إليه، وأين، ومتى، وتحت أية ظروف. التداولية هي دراسة المعنى السياقي .

يدرس هذا المنهاج أيضا الكيفية التي يصوغ من خلالها المستمعون استدلالات حول ما يقال للوصول إلى تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم. يبحث نوع الدراسة هذا في كيفية إدراك قدر كبير مما لم يتم قوله على أنه جزء مما يتم إيصاله. بإمكاننا القول: إنه دراسة المعنى غير

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١م، ص ١٥.

المرئي invisible meaning التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال. يثير هذا المنظار التساؤل حول ما يمكن أن يحدد ما يقال، وما لم يتم قوله. ويرتبط الجواب الرئيس بمفهوم التباعد distance ينطوي القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي على خبرة مشتركة، حيث يحدد المتكلمون مقدار ما يحتاجون قوله بناء على افتراض قرب المستمع أو بعده. التداولية هي دراسة التعبير عن التباعد النسبي [1] .

الخلاصة:

التداولية:

أ) بيان كيف نستعمل اللغة في التواصل بين البشر (وظيفة اللغة).

ب) بيان المعنى الذي يقصده المتكلم .

ج) دراسة المعنى السياقي .

د) دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال .

هـ) دراسة التعبير عن التباعد النسبي.

وبعبارة بسيطة يمكن القول: إن التداولية أخذت منحا جديدا في دراسة اللغة، وهو التركيز على كيفية نجاح عملية التواصل والتفاهم بين البشر، وذلك من خلال اللغة المنطوقة، وغير المنطوقة (إشارات المصاحبة للكلام) هذا الأمر يعطى مساحة أكبر لتحليل الكلام؛ بشموله لما ينطق وما لم ينطق، في إطار محددات غير لغوية ولغوية، توسع المساحة المفهومية والتحليلية للنص. وبهذه العملية يبدو النص أكثر وضوحا وفهما لدى المتكلم والمستمع، ومن الضروري التأكيد على أن هذه العملية تتم بطريقة عفوية آلية بينهما قبل مجيء التداولية بآلاف السنين. فهي تدخل ضمن قوانين كلام البشر المعتاد .

(١) التداولية: جورج يول، ت. قصي العتابي، دار الأمان، الرباط، ٢٠١٠م، ص١٩.

١.١ التداولية وعلم اللغة:

التداولية فرع من علم اللغة، يدرس العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ، ويبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم، فهو دراسة معنى المتكلم؛ وهذا يتطلب منا فهم الناس وما في عقولهم، فقول القائل: أنا عطشان مثلا قد يعنى أحضر لي كوبا من الماء، وليس من اللازم أن يكون إخبارا بأنه عطشان، فالمتكلم كثيرا ما يعنى أكثر مما تقوله كلماته[1] .

وهذا يعنى أن الناس لكي يفهم بعضهم بعضا؛ يجب عليهم تحليل الكلام المتداول بينهم الذي ينطقون به أو يسمعون إليه، فإنه يحمل كثيرا من المعاني التي لا ينطق بها المتكلم مباشرة، لكنه يقصد ذلك المعني ويفهم الناس قصده، ومن هنا رأى بعض الباحثين أن للمعنى مستويات ثلاثة :

أ) المعنى اللغوي: وهو مأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات والضمائر والجمل.

ب) معنى الكلام: وهو المعنى السياقي .

ج) المعنى الكامن أو الموجود بالقوة: وهو معنى المتكلم.

وقضية تحليل المعنى المتداول؛ المنطوق وغير المنطوق؛ المقصود وغير المقصود الذي تقوم به النظرية التداولية، يجعلها فرعا من فروع علم اللغة؛ فهو يدرس ضمن علم المعنى، في إطار فرع مستقل عنده هو علم الدلالة .

١.١.١ التداولية وعلم الدلالة:

لو ربطنا بين الأقسام السابقة للمعنى والنمو العقلي للإنسان؛ لوجدنا أن الإنسان في بداية تعامله باللغة مع أخيه الإنسان كان (ولا يزال) يعتمد

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٣.

على المعنى اللغوي الأصلي والأساسي للكلمة، لكي يتواصل معه، ثم تطورت الحياة وتعقدت وكثرت المعاني المختلفة؛ فاحتاج إلى أن يضع في سياق كلامه علامات تحمل دلالات جديدة لا توجد في المعنى الأصلي للكلمة، وقد لا توجد إلا في هذا السياق ثم تطورت الحياة أكثر وأكثر؛ فبدأ في إبداع دلالات جديدة لا ترتبط بالسياق وحده، بل تشترك معها عناصر أخرى، مثل العرف الاجتماعي (الذي أوجده الإنسان نتيجة لتطوره وإنشاء المجتمعات المترابطة لحاجته لذلك) وملامح الوجه، وما يُكنُّ في نفسه ويضمر من معان غير ما يبدى، مما يلحظه المستمع أو لا يلحظه، وهذا يعنى أن المتحكم في هذا المستوى الدلالي ليست اللغة بألفاظها ودلالاتها ولا السياق المتنوع، ولكن ما أضمره المتكلم، وحاول المستمع من خلال تجاربه السابقة مع المتكلم أن يعرفه، أو يستنتجه من كلامه، وهذا المعنى موجود بالقوة داخل المتكلم، لأنه يفرضه على المستمع رغم عدم النطق به، فالذي يقول لك: هل هذا الكأس به ماء ؟ هل يعنى بهذا السؤال عن وجود الماء بالكأس ؟ أم يطلب منك أن يشرب هذا الماء؟! إنه أسلوب مهذب في طلب الماء، في كلام يطلب من خلاله المتكلم من السامع أن يأتيه بالماء، أو يسمح له بشرب الماء، دون طلب مباشر بذلك .

هذا المستوى من المعنى يجعلنا نعيد النظر إلى الكلام الذي يصدر عنّا، وما خلفه من مقاصد ودلالات غير نصية (لم ينص عليها الخطاب) هذا المستوى من التواصل اللغوي بين البشر موجود قديما وحديثا ولكنه كثر في عصرنا لتعدد أغراض المتكلمين وتشابك غاياتهم وتعقد الحياة ولكن ليس هذا عجزا في اللغة أن تلجأ لمثل هذا المستوى من التعبير، ولكنني أعتبره شدة ذكاء من المتكلم؛ يقابله شدة فهم لهذا الذكاء من المستمع، ليفسر ما بالكلام من شفرات .

وتقوم النظرية التداولية بدراسة هذا الجانب من المعنى، وهي تسعى من وراء ذلك إلى الغوص في داخل النفس البشرية وتحليل خفاياها، وخلفيات الحديث في التعامل اللغوي اليومي بين المتكلم والسامع، وقيود الكلام غير المعلنة بينهما، والقوانين التي تحكم هذا التعامل؛ وصولا للمعني المقصود .

وقد لخص هذا جورج يول بقوله: " أن التداولية تختص بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم أو الكاتب ويفسره المستمع أو القارئ؛ لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة، التداولية: هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم [1] .

٢.١.١ جوانب دراسة المعنى في التداولية:

وللوصول لهذه الغاية؛ وهي دراسة المعني الكامن في نفس المتكلم قامت النظرية التداولية بدراسة أربعة جوانب تحَدُّ كلام الفرد من كل الجهات هي: الإشارة، والافتراض السابق، والاستلزام الحواري، والأفعال الكلامية، وهذه الحدود تهدف إلى تحليل العبارة اللغوية بصورة جديدة، لم تقم بها النظريات اللسانية الأخرى، فلنحاول فهم الجوانب التي خصتها التداولية بالدراسة، وهي :

١.٢.١.١ الإشارات:

سمّاها جورج يول بالتأشير بقوله: " التأشير deixis مصطلح تقني يستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في الكلام، والتأشير يعنى الإشارة من خلال اللغة، ويطلق على أية صيغة لغوية تستعمل للقيام بهذه الإشارة مصطلح التعبير التأشيري deictic expression عندما نلاحظ شيئا غريبا ونسأل، ما هذا ؟ فإنك تستعمل تعبيرا تأشيريا (هذا)

(١) التداولية: جورج يول، ص١٩.

للإشارة إلى شيء ما في السياق المباشر... وتعتمد جميع هذه التعابير في تفسيرها علي متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته. تستعمل التعابير التأشيرية بشكل أساس ومتزايد في التفاعل المنطوق وجها لوجه face- to- face حيث يكون فهم لفظ مثل (سأضع هذا هنا) يسيرا جدا على الحاضرين، ولكن الغائب قد يحتاج إلى ترجمة[1] إذن فالتأشير وسيلة اللغة لبيان مقصود المتكلم بكلامه، ولهذا ترتبط بسياق المتكلم فهي تعبيرات تعتمد اعتمادا تاما على السياق الذي تستخدم فيه، ولا يستطاع إنتاجها أو تفسيرها بمعزل عنه [2] .

أنواع الإشارات:

١. إشاريات شخصية:

المقصود بالإشارات الشخصية إشارات تنوب عن الشخص، وتشير إليه بدلا من اسمه، وأول هذه الإشارات الضمائر بأنواعها المختلفة، وهي تأتي في الترتيب كالآتي: ضمائر التكلم ثم المخاطب ثم الغائب. يُضاف إلى الإشارات إلى الشخص النداء، وهو ضميمة اسمية تشير إلى مخاطب لتنبيهه أو توجيهه أو استدعائه، والنداء لا يفهم إلا إذا اتضح المرجع الذي يشير إليه .

يعد مرجع الضمير مشكلة تداولية كبيرة عند تحديد صاحب الضمير، كما في ضمير الجمع عندما يكون مرجعه مفردا، نحو: نحن الأستاذ زيد للتعظيم، هنا تدخل الأعراف الاجتماعية في تحديد مرجع الضمير، أي الشخص الذي يشير إليه الضمير، فتحدده قيود أخرى. كما يحدد نوع النداء مكان النداء عليه .

---

(١) التداولية: جورج يول، ص٢٧.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٦.

٢. إشاريات المكانية:

هي عناصر إشارية إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها علي معرفة مكان المتكلم وقت المتكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قربا أو بعدا أو جهة[١] لا يخلو كلام الشخص من إشارات إلى المكان الذي تشير إليه كلماته، وذلك تحديد المكان الذي يعنيه، لكن هذا يرتبط أولا بما لدى المتكلم والسامع من اتفاق ضمني على ما تعنيه تلك الإشارات؛ وإلا ظل الكلام مبهما بينهما. ويدخل ضمن الإشارات المكانية ما يعرف بالمسافة العاطفية أو التباعد النفسي حيث يميل المتكلم إلى معاملة الأشياء البعيدة ماديا على أنها بعيدة نفسيا (مثلا، ذلك الرجل هناك). مع ذلك قد يرغب المتكلم في جعل شيء قريب ماديا (مثلا، عطر استنشقه) بعيدا نفسيا بقوله: " لا أحب ذلك العطر ". وفقا لهذا التحليل فإن كلمة مثل " ذلك " لا تملك معنى دلاليا ثابتا، ولكنها تشبع بمعنى ما في سياق المتكلم.

يبدو أن عمليات نفسية مشابهة تؤدي دورا فاعلا في تمييزنا بين التعابير الأدنى والقصية التي تستعمل للإشارة إلى التأشير الزماني [٢].

ويقول عن هذا النوع من الإشارة الوجدانية د. نحلة: " وهو قريب مما سماه علماء المعاني عندنا: التحقير بالقرب نحو قوله تعالى: ﴿**أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٣٦].
﴿**الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ (٢)**﴾ [البقرة].

لقد فصلنا القول في هذه القضية الإشارية لما لها من تأثير في فهم النص الإشهاري، بعرض خلفياته التي تتحكم في معناه وتوجهه ـ كما سنرى في تحليل الأمثلة تداوليا ـ

---

(١) المرجع السابق: ٢٢.
(٢) التداولية: جورج يول، ٣٣.

٣. إشاريات الزمانية:

الإشارات الزمانية كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التكلم، فزمان التكلم هو مركز الإشارة الزمانية في الكلام، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ، فقولك مثلا بعد أسبوع يختلف مرجعها إذا قلتها اليوم أو قلتها بعد شهر أو بعد سنة، وكذلك إذا قلت نلتقي الساعة العاشرة، فزمان التكلم وسياقه هما اللذان يحددان المقصود بالساعة العاشرة صباحا أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يليه [١].

ويبدو الأساس النفسي للتأشير الزماني مشابها لأساس التأشير المكاني. ويمكننا معاملة الأحداث الزمانية كأشياء قادمة إلينا (إلى مجال رؤيتنا) أو مبتعدة عنا (خارج مجال الرؤية) [٢].

٤. إشاريات الخطاب:

هناك تشابه بين إشارات الخطاب والإحالة إلى سابق أو لاحق، الفرق بينهما أن الإحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الإحالة وما يحيل إليه مثل: زيد كريم وهو ابن كرام، فالمرجع الذي يعود إليه زيد وهو واحد، أما إشارات الخطاب فهي لا تحيل إلى ذات المرجع، بل تخلق المرجع؛ فإذا كنت تروى قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلا: لكن تلك قصة أخرى.

هناك إشاريات للخطاب تعد خواص الخطاب، وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم، فقد يتحير في ترجيح رأى على رأى أو الوصول إلى مقطع اليقين في مناقشة أمر فيقول: ومهما يكن من أمر، وقد يحتاج إلى أن يستدرك على كلام سابق أو

---

(١) المرجع السابق: ٢٠.
(٢) التداولية: جورج يول، ٣٥.

يضرب عنه، فيستخدم لكن أو بل، وقد يعن له أن يضيف إلى ما قال شيئا آخر فيقول: فضلا عن ذلك، وهذه كلها إشاريات خطابية خالصة[1].

٥. الإشاريات الاجتماعية:

هي ألفاظ تشير إلى العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل وفي مخاطبة من هم أكبر سنا، ومقاما من المتكلم، نحو أنتم للمفرد المخاطب، ونحن للمفرد المعظم لنفسه، وهي تشمل الألقاب مثل فخامة الرئيس الإمام الأكبر، جلالة الملك سمو الأمير أما الاستعمال غير الرسمي فهو منفك من هذه القيود جميعا [2].

١.١.٢.٢ الافتراض السابق:

يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس مما يفترض سلفا أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفا أن النافذة مفتوحة، وأن هناك مبررا يدعو إلى إغلاقها، كل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب [3].

يقول جورج يول: "في مناقشتنا السابقة للإشارة، استسيغت فكرة أن المتكلمين يفترضون أن مستمعهم عارفون ببعض المعلومات، لا تذكر هذه المعلومات كونها تعامل على أنها معروفة، ولذا فإنها تعتبر جزء مما يتم إيصاله دون قوله. يستعمل المصطلحان التقنيان الافتراض المسبق والاستلزام لوصف ناحيتين مختلفين لهذا النوع من المعلومات... الافتراض المسبق: هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين، وليس في الجمل أما الاستلزام:

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٤، ٢٥.
(٢) المرجع السابق: ٢٦.
(٣) المرجع السابق: ٢٧.

فهو شيء ينبع منطقيا مما قيل في الكلام، أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمون [1] .

١.١.٢.٣ الاستلزام الحواري:

كانت نقطة البدء عند جرايس هي أن الناس في حواراتهم، قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل كل همه إيضاح الاختلاف بين ما يقال، وما يقصد، فما يقال ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية، وما يقصد هو ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع علي نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر علي أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يقيم معبرا بين ما يحمله من معنى متضمن، فنشأت عنده فكرة الاستلزام [2] .

١.١.٢.٤ الأفعال الكلامية:

الكلام الذي ينطق به الناس ينطلق منهم بغرض محدد يقصده المتكلم ويعنيه، وبناء على ذلك تحمل تلك الألفاظ أغراضا مختلفة ضمن هذا الكلام، ويتم بناء على تلك الألفاظ أفعال وأحداث أو ما نسميه (إنجاز) أو نتيجة لهذا الكلام، فالناس إنما ينجزون أفعالا عبر هذه الألفاظ نحو قول المدير لموظف عنده أنت مطرود، وتسمى هذه الأفعال المنجزة من خلال الألفاظ عموما بأفعال الكلام .

١.١.٢.٥ أقسام أفعال الكلام:

أفعال الكلام: يتكون الفعل المنجز عبر إنشاء لفظ معين من ثلاثة أفعال :

١- **الفعل التعبيري:** هو إنشاء تعبير لغوي ذي معنى، الذي يعتبر فعل اللفظ الأساس، ويتألف من أصوات تنتظم في تركيب نحوي، ينتج عنه معنى أصلي .

---

(١) التداولية: جورج يول، ٥١.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٣٤.

٢ـ **الفعل الوظيفي أو الإنجازي:** تصاغ الألفاظ لتؤدي وظيفة، وينجز الفعل الوظيفي عبر قوة اللفظ التواصلية، فالإنجاز هو المعني الإضافي الذي يكمن خلف المعني الأصلي .

٣ـ **الفعل التأثيري:** نحن ننشئ اللفظ ذا الوظيفة المعينة بقصد أن يكون له تأثير معين[١] فهذا الفعل هو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع .

*** تصنيف أوستن لقوة فعل الإنجاز :**

قدم أوستن تصنيفا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية وهي:

١ـ **أفعال الأحكام:** وهي الأفعال التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم .

٢ـ **أفعال القرارات:** تتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن أو الطرد أو التعيين .

٣ـ **أفعال التعهد :** تتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء ما مثل الوعد أو الضمان.

٤ـ **أفعال السلوك:** رد فعل لحدث ما كالشكر أو التحدي أو الاعتذار أو المواساة .

٥ـ **أفعال الإيضاح:** هي لتوضيح رأى كالاعتراض أو التشكك أو الموافقة [٢] .

شروط الملاءمة في الأفعال الأدائية :

طور سيرل شروط الملاءمة عند أوستن فجعلها أربعة وهي:

أ ـ شرط المحتوى القصوى: هو المعنى الأصلي للقضية، كفعل الوعد يشترط فيه الدلالة على الاستقبال .

---

(١) التداولية: جورج يول، ٨٢ .
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٨.

ب ـ **الشرط التمهيدي:** ويتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل .

ج ـ **شرط الإخلاص:** ويتحقق عندما يكون المتكلم مخلصا في أداء الفعل.

د ـ **الشرط الأساسي:** يتحقق حين يحاول المتكلم التأثير بالسامع لينجز الفعل .

إن ما قدمه لنا أوستن وأكمل مسيرته فيه سيرل، يعد بعدا جديدا للنظر في اللسانيات الحديثة التي تري اللغة ليست مجرد قواعد نحوية، تحلل وحدات مكونة للجمل تسمى بالتراكيب، كما يري تشومسكي ومدرسته، بل هي وسيلة تواصل بين البشر الذين يستخدمونها ليلَ نهارَ، ولهذا انصب اهتمامها على الجانب التواصلي في اللغة، وهو استخدامها لتحقيق هذا التواصل، فكان ما رأينا من تعريف أوستن لهذا العمل بأنه عملية تداولية ويقصد بها: " دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، فالمعنى ليس شيئا متأصلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، فصناعة المعنى يتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما "[1] " فالتداولية تدرس الدلالة في علاقتها بمواقف فعل الكلام "[2] .

**** تصنيف جورج يول لوظائف تنجزها أفعال الكلام نقلا عن سيرل :**

صنف جورج يول الوظائف العامة التي تنجزها أفعال الكلام نقلا عن سيرل :

أ ـ **الإعلانات:** هي أنواع أفعال الكلام التي تغير الحالة عبر لفظها. نحو: " القسيس: الآن أعلنكما زوجا وزوجة، الحكم: أنت مطرود "، يتوجب على المتكلم تسنيم دور مؤسساتي،في سياق معين، لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة .

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٤.

(٢) مبادئ التداولية: جيوفرى ليتس، ت. عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ٢٠١٣م، الدار البيضاء، ص٢٤.

ب ـ الممثلات: أنواع أفعال الكلام التي تبين ما يؤمن به المتكلم أنه الحالة أم لا.تمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف أمثلة لتمثيل الحالة، كما يعتقد المتكلم (الأرض مسطحة ـ كان يوما مشمسا ـ لم يكتب جومسكي عن الفول) باستعمالها يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم الاعتقاد) .

ج ـ المعبرات: هي أنواع أفعال الكلام التي تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبير عن حالات نفسية، فتعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن " أنا متأسف جدا ! ـ تهانينا ! ـ أوه نعم، عظيم ! استعمال المعبر، يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم الأحاسيس) .

د ـ الموجهات: هي أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما. وهي تعبر عما يريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواه ومقترحات نحو: أعطني كوب القهوة ـ هل لك أن تعيرني قلما ؟ ـ لا تلمس ذلك. باستعمال الموجه يحاول المتكلم جعل العالم ملائما للكلمات (عبر المستمع) .

هـ ـ الملزمات: هي أنواع أفعال الكلام التي يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل مستقبلي لأنها تعبر عما ينويه المتكلم، وهي وعود وتهديدات وتعهدات يمكن أن ينجزها المتكلم (لن نقوم بذلك ـ سأعود ـ سأنجزها بشكل صحيح) وباستعمالها يجعل المتكلم العالم ملائما للكلمات (عبر المتكلم) [1] .

تصنيف أفعال الكلام عند علماء العربية:

يقابل د. محمود نحلة بين التداولية والتراث العربي قائلا: " إذا التفتنا إلى تراثنا اللغوي وجدنا فيه اتجاهين يماثلان اتجاهي النظريات اللسانية المعاصرة أحدهما: يعنى بالنظام اللغوي الذي يشمل أنظمة فرعية صوتية

(١) التداولية: جورج يول، ٨٩ ـ ٩٠.

وصرفية ونحوية ودلالية... والثاني يعنى بالمقام وما يتصل به من قرائن غير لفظية... والمدخل الصحيح إلى هذه النظرية العربية للأفعال الكلامية باب من أبواب علم المعاني هو الخبر والإنشاء وما ورد من مناقشات تتصل به في كتب أصول الفقه والفقه والنحو واللغة... فربما نستطيع أن نصل إلى وضع نظرية عربية للفعل الكلامي موازية للنظريات الغربية تأخذ منها وتعطيها في إطار مثاقفة متكافئة [1] .

تقسيمات علماء العربية:

تعددت تلك التقسيمات بحسب المعنى المراد دون أن يذكر كثير منهم المعايير التي قسم الكلام علي أساس منها، فقسمه السكاكي إلى خبر وطلب وقال السيوطي: أقسام ثلاثة: خبر وطلب وإنشاء... وقال بعضهم خمسة: خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء [2] .

تقسيم د. محمود نحلة:

أرى أننا إذا عدلنا عن تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء وقسمناه تقسيما أوليا إلى أفعال يكون اللفظ بها إيقاعا للفعل، وأفعال تصف وقائع العالم الخارجي أو تخبر بها، أو إلى أفعال إيقاعية وأفعال إخبارية، أو إلى إيقاعات وإخباريات فسوف نضع اللبنة الأولي في بناء نظرية عربية للأفعال الكلامية ونتخلص في الوقت نفسه من تقسيم مضطرب وملتبس ومن ثم نرى أن تقسيم الأفعال الكلامية في اللغة العربية يمكن أن يستفيد فيه من تقسيم أوستن وسيرل على النحو الآتي:

أولا: الإيقاعيات: وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقاربا للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلا، وينبغي أن تتسع لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجازة والإبراء من الدين والتنازل عن الحق، والزواج والطلاق.. إلخ، وهذه كلها يقع الفعل بمجرد النطق بلفظها كما نص الفقهاء .

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٨٨ .
(٢) المرجع السابق: ٩٦.

ثانيا: الطلبيات: وتضم كل الأفعال الكلامية الدالة على طلب بغض النظر عن صيغها وهو أمر أخذ به الأصوليون والفقهاء وبعض المتكلمين كذلك النهي يتسع عندهم ليشمل كل الأفعال الكلامية الدالة على النهي.. والاستفهام داخل في الطلب، لأن الاستفهام استخبار والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك عن شيء تريد معرفة خبره... إن الغرض الإنجازي من الطلبيات هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء .

ثالثا: الإخباريات: يقتصر علي الأفعال التي تصف وقائع وأحداثا في العالم الخارجي، ويدخل فيما تنقله الصحف ونشرات الأخبار إلينا... والغرض الإنجازي لهذا النوع من الأفعال؛ هو نقل الواقع نقلا أمينا، ليتحقق شرط الإخلاص، لإنجاز الأفعال إنجازا ناجحا أو تاما، وإلا أصبحت أخبارا معيبة .

رابعا: الالتزميات: أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الالتزام طوعا بفعل شيء للمخاطب في المستقبل بحيث يكون المتكلم مخلصا في كلامه، كأفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والضمان والإنذار... إلخ واتجاه المطابقة في هذا النوع من الأفعال من العالم إلى الكلمات. فالالتزاميات والطلبيات تشتركان في اتجاه المطابقة، لكن المرجع فيهما مختلف، فهو في الالتزاميات المتكلم، وفي الطلبيات المخاطب .

خامسا التعبيريات: أفعال كلامية يعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الرضا والغضب والسرور والحزن والنجاح والفشل... إلخ، وليس من اللازم أن تقتصر هذه الأفعال على ما هو خاص بالمتكلم من الأحداث، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وتنعكس آثاره في النفسية والشعورية على المتكلم. ويدخل فيها أفعال الشكر والاعتذار والتهنئة والمواساة وإظهار الندم والحسرة... وهكذا نرى أن من

الممكن تقسيم الأفعال الكلامية العربية تقسيما خماسيا يطابق ما قدمه سيرل، ويفيد من بعض ضوابطه فيما عدا ما أطلق عليه سيرل الإعلانيات وأطلقنا عليه الإيقاعيات لانسجامه مع طبيعة الاستعمال في اللغة العربية، فضلا عن أننا اخترنا أن نطلق على قسم منها الطلبيات واختار أن يطلق عليه التوجيهيات [1] .

هذا التقسيم سنستعين به في تطبيقاتنا على التداولية في الإشهار القرآني .

٦.٢.١.١ الأفعال الإنجازية المباشرة وغير مباشرة:

قد فرق أوستن بين الأفعال اللفظية والأفعال الإنجازية وفرق بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأولية جاء سيرل فميز بين الأفعال الإنجازية غير المباشرة والمباشرة .

أ ـ الأفعال الإنجازية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم فيكون معنى ما ينطقه مطابقا لما يريد أن يقول، ويتمثل في معاني الكلمات .

ب ـ الأفعال الإنجازية غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فالفعل الإنجازي يؤدى على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، كقولك لصاحبك: هل ناولتني الملح ؟ المعنى الحرفي الاستفهام والمعنى المقصود غير المباشر هو طلب الملح .

٢.التداولية والإشهار:

التداولية تناقش كيفية استخدام اللغة كوسيلة للتواصل، واستلزامات الفعل الكلامي بين المتكلم والسامع، أما الإشهار فهو من يقوم بهذا الفعل الكلامي، حيث يخاطب المشهر من خلال إشهاره السامع ويحاوره، ليقنعه بالمنتج أو الخدمة أو الفكرة التي يقدمها.

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٢ ـ ١٠٨.

١.٢ المقابلة بين التداولية والإشهار:

لهذا كان من اللازم أن ندرس التداولية؛ لنرى ما يمكن أن تقدمه لصانع الإشهار، ويمكن توضيح نقاط التلاقي بين التداولية والإشهار بالمقابلة بينهما لبيان كيفية الاستفادة منها :

أولا : مفهوم النظرية والمصطلح:

النظرية التداولية: هي دراسة استخدام اللغة كوسيلة تواصل بين البشر، فهي لسانيات الاستعمال اللغوي .

مصطلح الإشهار: إبلاغ عن سلعة ما بغرض تسويقها بتقديمها لكل أفراد المجتمع .

الغاية منهما: التواصل مع المجتمع، ووسيلتهما هي اللغة، فالتداولية تدرس اللغة عند استعمالها، والإشهار يُحمّل اللغة صفات ومحاسن سلعته للمجتمع .

ونقطة الالتقاء بينهما هي (المجتمع بكل أفراده؛ فهما يبغيان التواصل معه) واللغة وسيلتهما في التعبير عن غرضهما.

ثانيا: الحوار فيهما:

يعتمد كل من الإشهار والتداولية على لغة الحوار بين المتكلم والسامع، فالإشهار هو خطاب من المشهر إلى المتلقي يحمل كل مميزات المنتج، يتلقي المشهر الرد في الحال من خلال إقبال المشتري على السلعة، كأبلغ رد على هذا الخطاب، فيتحول ذلك المتلقي إلى مستهلك .

والتداولية: دراسة لتلك العملية الحوارية التي يعد النص الإشهاري فيها مادة البحث التداولي، لبيان نوع الخطاب، ومكوناته التداولية من (الفعل الكلامي إلى الفعل الإنجازي إلى فعل التأثير) .

يقول ليتش في تعريفه للتداولية العامة: دراسة التواصل اللساني في معنى مبادئ التحاور إذ سيتقيد إن صح التعبير بالنموذج الخطاب للتداولية [١].

---

(١) مبادئ التداولية: ٢٢٠ .

فهو يرى أن دراسة التداولية العامة هي دراسة التواصل في معنى مبادئ التحاور التي تجعل اللغة وسيلة تواصل بين المتكلم والسامع تقوم على التحاور، فهذا هو النموذج الخطابي للتداولية، وهذا الوجه من التداولية العامة هو ما يربط بين الإشهار والتداولية في آلية عمل النظرية التداولية في الإشهار، وقام بمثل هذه المقابلة بينهما د. سعيد بنكراد، حيث قابل بين أنواع الفعل في إطار النظرية التداولية وبين عمل الإشهار حتى يصل بالمتلقي إلى مرحلة الاقتناع.

٢.٢ سعيد بنكراد والمقابلة بين الإشهار والتداولية:

١.٢.٢ الربط بين الإشهار والتداولية:

ربط سعيد بنكراد بينهما قائلا: " الملفوظ الإشهاري لا يقوم سوى بالإعلان عن النوايا الطيبة كما يمكن أن يقوم بذلك كل فاعل خير، إلا أنه مصمم بطريقة يتحول من خلالها الحامل الوصفي إلى حكم أو نذير أو مصفاة يعاد من خلالها إنتاج العلاقات الاجتماعية السائدة، وفي جميع هذه الحالات فإنه يتجاوز حدود الوظيفة ليستثير داخل المستهلك انفعالات بعينها تقوده صاغر إلى الشراء وللتعرف على كنه هذا التداخل والكشف عن الآليات الإقناعية التي يشترطها يمكن استحضار الأبعاد الثلاثة لكل فعل لغوي كما حددت ذلك الأدبيات التداولية، وهي تبحث في آثار السياقات المباشرة وغير المباشرة في تحديد دلالة أي ملفوظ [1].

الرابط بين الإشهار والتداولية ـ كما يرى بنكراد ـ هو ربط بين نص لغوي (الإشهار) والآلية المحللة للنص (التداولية) وموضع التحليل (جانب الإثارة في الإشهار) فالنص الإشهاري لا يعلن عن مقاصده الحقيقية، ويتخفي وراء أهداف طيبة وغايات غير معلنة؛ تظهر من خلال إثارته انفعالات داخل المستهلك تدفعه إلى الشراء، ويقوم التحليل التداولي ببيان

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠١ ـ ٢٠٢.

تلك المقاصد التي أثارها السياق المباشر وغير المباشر للإشهار لبيان دلالة كل ملفوظ فيه. لذا فتحليله القادم سينبني على المقابلة بين الأبعاد الثلاثة للفعل اللغوي ـ كما ـ ترى التداولية، وبين النص الإشهاري .

يذكر بنكراد عمل أوستن في نظريته قال: " لقد عمد أوستن إلى تقسيم الملفوظ إلى ثلاثة عناصر:

١ـ ما يتعلق بالمفصلة الصوتية التي تقود إلى إنتاج الوحدات المشكلة للملفوظ .

٢ـ ما يرتبط بتأليف النحوي الذي يحدد معقولية الملفوظ ومقبوليته .

٣ـ المستوى الدلالي، فالملفوظ لا يمكن أن يكون كذلك إلا إذا كان حاملا لمعنى ما[1] .

تحليل قول بنكراد :

إن ما قاله بنكراد بناء على فهمه لكلام أوستن؛ يمكن إيجازه في النقاط الآتية:

أ ـ اللغة: كقواعد موجودة في ذهن المتكلم والسامع تتحول عند النطق إلى صورة فعلية كلامية منطوقة يتواصل الناس بها فيما بينهم، في شكل وحدات لغوية منطوقة من (أصوات >> تراكيب >> دلالات) قال: " وتشير هذه العناصر مجتمعة إلى ما يشكل الوحدة الدلالية للملفوظ، كما يمكن أن يتحقق خارج السياقات. وهي دلالة ثابتة لا يمكن النيل منها، لأنها جزء من الملفوظ المعزول .

ب ـ أفعال الكلام: إن الأمر يتعلق :

أولا: بفعل الإنتاج acte locutoire إنتاج وحدة مضمونية متضمنة في ملفوظ .

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٢.

ثانيا: ويتعلق بالفعل الإنجازي acte illocutoire فالملفوظ ذاته يمكن أن يشتمل على أبعاد أخرى ندل من خلالها على أننا نقوم بشيء ما ونحن نتحدث نحو: الوعد أو الوعيد أو التأكيد أو التمني... وهي قيم مرتبطة بسياقات التلفظ وليست جزءا قارا داخل الملفوظ. إلا أن الملفوظ يشتمل بحكم معناه الثابت وبحكم دلالاته المتنوعة تنوع سياقات التلفظ، على قوة ثالثة يمكن تحديدها في الآثار التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي.

ثالثا: وهو ما يطلق عليه الفعل التأثيري acte perlocutoire إنه يشير إلى نتائج، ووقع هذه الأفعال على ممارسات أو أفكار أو معتقدات المستمع، وتكون هذه القوة عادة من طبيعة غير لغوية، إنه تشكل ما يشبه " قاعدة الفعل " سواء تجسد هذا الفعل في سلوك عيني، أو تحقق من خلال حدوث تغيير في قناعات المستمع الفكرية أو الدينية أو غيرها [1].

التعليق: هذا التقسيم لأوستن الذي استعان به بنكراد يمثل شيئين معا هما: الأول: مراحل إنتاج الملفوظ؛ دون النظر إلى ما يسبقها من عمليات عقلية كما فعل تشومسكي بالنظر إلى البنية العميقة والبنية السطحية والتحول من الأولى إلى الثانية، كعملية نظرية تخيلية لتكوين الجملة، ولم يدرج ضمنها الدلالة إلا كجانب مفسر فقط، وليس عنصرا أساسيا في بناء نظريته. والثاني: تفاعل المتكلم مع المستمع، حيث تبدأ عملية التفاعل الحقيقية بين المتكلم والسامع (جانب استخدام اللغة كوظيفة ووسيلة تواصل بينهما) وذلك بتحميل الملفوظ دلالات غير منطوقة؛ تدعو المستمع إلى التفاعل والتحاور مع المتكلم ردا (لفظيا أو عقليا) على ذلك الملفوظ، فالذي يهددك أو يعدك أو يسألك؛ يدفعك للرد عليه بلفظ أو دون لفظ عن طريق التفكير فيما قال؛ مما يجعلك تتفاعل

(١) المرجع السابق: ٢٠٣.

معه، فترد عليه وتستجيب لكلامه أو تتخيل بعقلك كيف يكون هذا الوعد أو الوعيد أو الجواب على سؤاله ؟ فيبدأ الجانب الثالث من أفعال الكلام وهو الفعل التأثيري، وهو سلوك الفرد نحو هذا الملفوظ .

هذا الجانب من الأفعال التي ذكرها أوستن (الفعل الإنجازي) أهم الجوانب بعد جانب الملفوظ، لماذا ؟ لأنه يشير إلى قدرة اللغة على حَمْل دلالة منطوقة وغير منطوقة تجعل المستمع ينقاد إلى المتكلم، بل ينجذب نحوه أو ينصرف عنه. ولهذا كان هذا الجانب من أهم الجوانب في الدراسة التداولية .

وجانب (الفعل الإنجازي) هو ما يربط بين التداولية والإشهار فالوصلة الإشهارية ـ ببعديها البصري واللفظي ـ تتبني وفق ما يقتضيه التسلسل بين هذه الأفعال الضمنية منها والصريحة، فهي لحظة إنتاج مكتفية بذاتها، ولكنها تدرج في ثناياها من خلال الوصف ذاته الذي يقدمه الملفوظ، قوة إقناعية ضمنية ستدفع بالمستهلك إلى الشراء "[1] .

٢.٢.٢ التقابل بين الوصلة الإشهارية وأفعال الكلام:

الوصلة الإشهارية تتبني وفق ترتيب حدوث هذه الأفعال (فعل الإنتاج ـ فعل الإنجازي ـ الفعل التأثيري) لكنها تحمل في ثناياها (في جانب فعل الإنجازي) قوة إقناعية ستدفع بالمستهلك إلى الشراء (في جانب الفعل التأثيري) لذا يجب أن تقوم دراسة العبارة الإشهارية في ضوء النظرية التداولية من خلال فعل الإنجازي أولا؛ لبيان عناصر القوة الإقناعية في ذلك الإشهار التي ستدفع بالمستهلك إلى شراء هذا المنتج. وهو يدعو إلى تلك الدراسة قائلا"وستتحدد مكونات الوصلة على إثر ذلك، استنادا إلى هذه الأفعال (يقصد أفعال الكلام كما ذكرها أوستن) باعتبارها

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٣.

مراحل غير مرئية، يمكن الكشف عنها من خلال تفكيك مضمونها[1] أي تحليل العبارة وفق النظرية التداولية .

٣.٢.٢ تحليل بنكراد للإشهار وفق تقسيم أوستن:

المستوى الأول: فعل الإنتاج:

يتكون الملفوظ الإشهاري من صورة ولفظ وموسيقى، فيجب البحث في الترابط بين ما يقوله النص المكتوب وما تقوله الصورة وما تثيره الموسيقى، بل يجب تفاعل مكونات الوصلة الإشهارية بكل ملفوظاتها سواء كانت لفظية أو بصرية؛ لبيان قوة الإقناع الناتجة عن نجاح التفاعل والترابط بين هذه المكونات في التعبير عن المعنى المقصود من الإشهار كله .

مثال: فالإشهار الذي يعلن عن مياه غازية تأتي الصورة معبرة عن الحاجة لذلك المشروب في شكل فتاة حسناء تخرج من البحر تعاني من الحر، وفي يدها ذلك المشروب (الصورة) ثم نرى هذه العبارة المكتوبة تحت الصورة (انتعش تعش واشرب ماء الحياة مع نسيم البحر في مشروب كذا) ثم نسمع الموسيقى المصاحبة أثناء عرض الصورة، مع صوت موج البحر ونسيمه، كل هذه الخيوط الإشهارية مجتمعة كونت لنا فكرة من خلال الحلم والخيال حول هذا المشروب، مع العالم الذي يثيره في خيالنا لحظة سماعه ورؤيته، فكأننا نجلس في المكان ذاته بكل حيثياته فنستهيم به وننسى ثمن المشروب، بل نتشبث به على أمل أن يحقق لنا هذه اللحظة الحالمة [2] .

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٣.
(٢) هذا المثال الإشهاري من عندي لتوضيح الفكرة فقط .

المستوى الثاني: الفعل الإنجازي:

إن الفعل الإنجازي يشير إلى ما تحمله العبارة من معان إضافية، وهي قيم مرتبطة بسياقات التلفظ، وليست جزءً قارا داخل الملفوظ، وكذلك الملفوظ الإشهاري يتضمن غايتين: غاية وصفية مباشرة للمنتج، إلا أنها تُضمّن هذه الإرسالية من خلال هذا الوصف ذاته بعدا إقناعيا يهدف إلى إقناع المستهلك بجدوى استعمال هذا المنتج، وهنا يبدو جانب الفعل الإنجازي (كما تقول التداولية) في الدفع بالمستمع إلى الاقتناع بالقول الإشهاري ويتحول لمستهلك .

يقول بنكراد: " إن الفعل الإنجازي المهيمن على أغلب الوصلات هو إخباري بشكل صريح وتوجيهي بشكل ضمني من قبيل (الليمون يحتوي على فتامين س) فهو إخباري، لكنه ينصح ضمنيا بتناوله، وفي الوقت ذاته، وفي مستوى لا واع يستثير داخل المستهلك الحفاظ على الصحة الدالة على حب البقاء والخلود. نحن في حضرة قوة إقناعية تختفي في تفاصيل الوصفي، وتعد مع ذلك القوة الضاربة داخل الملفوظ، فكل شيء يتحدد من خلال طريقة العرض والوصف "[1] .

تحليل: هذا الكلام لبنكراد يدعونا إلى الربط بينه وبين كلام أوستن، فقد ميز أوستن بين نوعين من الأفعال :

أ ـ أفعال إخبارية: تصف وقائع العالم الخارجي، وتكون صادقة أو كاذبة .

ب ـ أفعال أدائية: تنجز بها في ظروف ملائمة أفعال أو تؤدي، ولا توصف بصدق ولا كذب، ويدخل فيها التسمية والاعتذار والرهان والوعد .

---

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

الفرق بين نوعين:

أ ـ (الأفعال الإخبارية) تصف العالم الخارجي، فهي بذلك تشمل كل عبارة تخبرنا عن شيء ما، وهذا هو أساس عمل العبارة الإشهارية، فهي تخبر عن سلعة ما وتصفها، وقد يكون هذا الوصف صادقا أو كاذبا، وكذلك الإشهار قد يكون صادقا أو كاذبا .

ب ـ (الأفعال الأدائية) أفعال حوارية تقوم على الحوار بين شخصين (متكلم ومستمع) فهي تمثل الجانب التفاعلي في النظرية التداولية، حيث تقوم بتحليل هذا النوع من الأفعال (الأدائية) التي تقوم على الحوار بين المتكلم والمستمع الذي يتحرك على أثره ليلبي توجيهات المتكلم أو لا يتحرك ويرفض كلامه. والمستمع يسلك هذا السلوك أو لا يسلكه بناءً علي اقتناعه أو عدم الاقتناع .

هذا الاقتناع ناتج عن الفعل التأثيري، وما يحمله من معان إضافية غير منطوقة يفهمها السامع من السياق .

***** الرد علي تقسيم أوستن:**

بعد أن قسم الأفعال إلى إخبارية وأدائية رأى أن هذا التمييز غير حاسم، وأن كثيرا مما ينطبق عليه شروط الأفعال الأدائية ليس منها، وأن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية رجع عودا على بدء إلى السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟ .

نقاش حول تقسيم أوستن وتلميذه سيرل:

أ ـ إن التداخل بين التقسيم الأول لأوستن (فعل إخباري ـ فعل إنشائي) ناتج عن أن كل قول هو خبر ينطق به المتكلم للمستمع فالطلب والوعد والوعيد والسؤال كلها أخبار يخبر به المتكلم السامع بما يريد فالأصل في الحديث الإخبار أيّا كان نوعه، أما الإنشاء فهو يُضاف إليه إلى جانب الإخبار أن يحمل معنى آخر وهو الطلب من (نداء أو وعيد أو

استفهام) ومن هنا يبدو التداخل بينهما. فلو أخذنا بهذا المفهوم لتبين لنا الترابط والصلة بين الفعلين .

ب ـ رأى أوستن أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال (فعل لفظي، فعل إنجازي، فعل تأثيري) تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلا لغرض الدرس، هذا التصور يعبر عن إدراك الرجل لقدرة الفعل الكامنة داخله، ويمكن النظر إليه وتحليله من كل جهة على حدة لبيان كيفية إتمام عملية التواصل من خلال الفعل، فوجود كل هذه الجوانب فعل (لفظي. إنجازي. تأثيري) لا يلغي تقسيم الفعل لإخباري وإنشائي، فالتواصل بين الناس لا يتم من خلال الفعل اللفظي فحسب، بل بما وراء اللفظ من معان غير منطوقة أيضا، وربما يحول المعنى المنطوق إلى ضده من خلال حركة باليد أو الوجه، فإذا كانت جُل اهتمام التداولية كيفية استخدام اللغة بين الناس للتفاهم عن طريق المعنى النهائي الواصل إلى عقل المستمع وبناء عليه يتم فهم المعنى اللفظي والسياقي. يجب العناية بكل هذه المعاني .

ج ـ لذا كان موضوع الفعل الإنجازي بؤرة اهتمام النظرية التداولية، وكذلك الإشهار فهو لا يعنيه ما يُقال قدر ما يعنيه ما يُفْهم، لأنه سيكون الدافع لدي المتلقي ليُقبل على هذه السلعة عن اقتناع، وهنا يأتي دور الفعل التأثيري كنتيجة لما سبق.وهنا أيضا كان علينا أن نأخذ ببؤرة هذه النظرية عند تحليل النص الإشهاري، أي التركيز على الفعل الإنجازي . لهذا اعتبر سيرل هذا الفعل الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي . فلا يتحقق الاتصال اللغوي بين الناس بدون هذا الفعل، لأنه يوصل إلى المستمع الرسالة الكامنة في نفس المتكلم؛ تلك الرسالة التي لا تعبر عنها ـ أحيانا ـ كل ألفاظ اللغة المنطوقة .

د ـ كما أشار سيرل إلى: " أن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة والنبر والتنغيم وعلامات الترقيم في اللغة المكتوبة وصيغة الفعل وما يسمى بالأفعال الأدائية "[1].

فهو يرى أن هناك عناصر لغوية، وغير لغوية لتوجيه المعنى تسمى دليل القوة الإنجازية يبين نوع الفعل الإنجازي، يشمل ما هو متعارف عليه لدى النحاة من بناء الجملة إلى جانب أدوات أخرى لا يعرفها سوى أبناء اللغة، من أعراف خاصة بهم في استخدام اللغة (منطق اللغة) كالنبر والتنغيم، فالمتكلم هو المبدع الأول في تكوين دلالات الجملة التي يصنعها من الفعل الإنجازي ودليل القوة الفعل، ذكر له سيرل أمثلة من الإنجليزية وهو موجود في كل اللغات كالعربية نحو :

١ـ نظام الجملة: فالجملة في العربية كغيرها من اللغات لها بناء أصلي تتكون من (فعل + فاعل) أو (مبتدأ + خبر) لكننا نجد المتكلم يقدم ويغير في هذا البناء لأغراض كثيرة لديه، وذلك لتوجيه المعنى إلى الجهة التي يريدها بكلامه .

٢ـ النبر والتنغيم:

النبر: هو الضغط على مقطع معين من الكلمة ليعطيها دلالة معينة مختلفة.

والتنغيم: هو رفع الصوت مع مقاطع معينة من الكلمة لتحميلها دلالة معينة. لكن الذي يصنع ذلك كله هو المتكلم؛ يحمل الكلمة دلالة غير موجودة بالمعجم. من خلال الضغط على مقاطع معينة من الكلمة، أو رفع الصوت وخفضه .

٣ـ علامات الترقيم في اللغة المكتوبة: تحمل علامات الترقيم دلالات غير منطوقة عرفية عند من يكتبون، وتحمل قيما تفسيرية لمقصود الكاتب من رسالته، كالسؤال وانتهاء الكلام أو الجملة أو التعجب .

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر:٤٩ نقلا عن محمود نحلة (١٩٩٩)، ص١٧ وما بعدها .

لهذا كان علينا إدراج كل هذه العناصر السابق ضمن تحليل الإشهار تداوليا، كدليل على قوة الفعل الإنجازي، وليست العناية بالمنطوق اللغوي فحسب .

لهذا كان المتكلم هو صاحب الرسالة وحامل معناها في ذهنه أولا، ثم يحاول بكل الوسائل توصيل هذه الرسالة إلى سامعه .

٣ـ أمثلة تطبيقية على الإشهار في ضوء النظرية التداولية :

٣ـ١ كيفية توظيف معطيات التداولية في فهم الإشهار:

هل المتكلم هو صانع هذه الشفرات التي يتم التواصل بها بين الناس؟

يقول سيرل: " إن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي "[1] فالمتكلم محكوم بأعراف اجتماعية ولغوية ورثها عن سابقيه؛ ملتزم بها في كلامه تسمى بعملية القهر الاجتماعي للغة، وعليه الخضوع لها والالتزام بها في مجتمع ذي أعراف متوارثة .

كل ما سبق كان عرضا لمعطيات وأصول النظرية التداولية، فيجب أن يلتزم بها صانع الإشهار، فيراعي في إشهاره كل هذه الأشياء من :

١ ـ **الأعراف اللغوية:** وتشمل كيفية استخدام اللغة ودلالتها في هذا المجتمع .

٢ـ **الأعراف الاجتماعية:** وتشمل مفهوم المجتمع عن الشيء المعلن عنه .

٣ـ **الإفادة من مفهوم الفعل الإنجازي وأقسامه:**

أ ـ **الفعل الخبري:** كيف تكون العبارة الإشهارية قائمة علي فعل إخباري ؟ .

ب ـ **الأفعال الأدائية بأنواعها:** كيف نجدها في الفعل الإشهاري؟ حيث يُدْخل المشهرُ المتلقي في حوار مع نفسه من خلال العبارة الاستفهامية أو غيرها من الأفعال الأدائية؛ ليقنعه بهذا المنتج .

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٤٩.

إن الوصف البارع من المشهر/ المعلن يخلق الإقناع بالمنتج، واستخدام الأفعال الخبرية والأدائية في عرض السلعة تدفع المتلقي إلى الإسراع في الإقبال عليها، يقول بنكراد: نحن في حضرة قوة إقناعية تختفي في تفاصيل الوصفي، وتعد مع ذلك قوة ضاربة داخل الملفوظ؛ فكل شيء يتحدد من خلال طريقة العرض والوصف، لا تقل لي: إنها سيارة جميلة، بل دعني أقول: إنه يصف لي السيارة بشكل رائع، إنه يحترم ذكائي، الحالة الأولى: مرئية من خلال الإحالة علي السيارة، أما الثانية: فتحيل علي جمالية الخطاب[1]. إن الأصل في نجاح الإشهار ـ كما يرى بنكراد ـ هو طريقة التعبير من خلال الخطاب القائم على أسس إقناعية مختلفة.

لهذا رأيت أن أعرض نماذج للإشهار من خلال هذا التقسيم الذي وصل إليه د. محمود نحلة بعد ما ذكرتُه من تقسيم كل من أوستن وسيرل آنفا .

١.١.٣ أولا : الإيقاعات:

هي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارنا للفظه في الوجود، فأنت توقع بالقول فعلا، وينبغي أن تتسع لتشمل أفعال البيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجارة والإبراء من الدين والتنازل عن الحق والزواج والطلاق والقذف والإقرار والدعوى والإنكار والوكالة... إلخ، هذه كلها يقع الفعل بمجرد النطق بلفظها كما نص على ذلك الفقهاء[2] الفعل يقع بمجرد النطق به نحو الذي يقول لزوجته: أنت طالق. يكون قد وقع الطلاق منه في الحال، فتطلق .

شروط صحة هذا النوع من الأفعال:

وضع الفقهاء شروطا صارمة لصحة هذا النوع من الأفعال لا تكاد تختلف عن الشروط التي وضعها كل من أوستن وسيرل، وأهمها :

---

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٥.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٢.

١ـ وضوح المعنى المراد من الكلام، فيفهم منه إيقاع الفعل المراد فهما جيدا .

٢ـ أن يكون متبعا أعراف أهل اللغة، فلا ينعقد الزواج بألفاظ الإباحة مثلا .

٣ـ أن يعلم كل من المتكلم والمخاطب ما صدر من الآخر ويوافق عليه.

٤ـ أن يكون إيقاع الفعل كاملا. إذا كان مما يحتاج لإيجاب وقبول فلابد منهما .

٥ـ أن يكون زمن الفعل حاضرا أو مستقبلا لفظا ومعنى، وإلا كان إخبارا .

٦ـ قد يكون الإيقاع صريحا كقوله تعالى: ﴿**يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**﴾ [البقرة: ٢٦٨] . أو ضمنيا نحو: قال تعالى: ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [القصص: ٧] .

٧ـ الإخلاص في أداء الفعل، ويقع الإخلاص بصدق نية فاعله[1] .

أمثلة من الإشهار العادي:

إن كلمة البائع للمشتري (صح البيع) تتحول بمجرد النطق بها السلعة من ملكية البائع إلى المشتري، وكذا كل إعلان عن سلعة؛ هو جواز بيع السلعة بشروط المشهر.

وتأتى قوة الفعل الإنجازي في هذا من رد الفعل السريع، بعد النطق بالفعل وهو صحة البيع، ووقوع الزواج أو الطلاق .

أمثلة من الإشهار القرآني:

هناك أمثلة كثيرة علي ذلك؛ منها:

١ـ الإشهار عن وصية: كوصية إبراهيم إلى بنيه ويعقوب؛ بألّا يموتوا إلا على دين الإسلام، وقد وقع الفعل بمجرد النطق به في الوصية، وهي عدم الموت إلا على الإسلام، وقد فعلوا ذلك .

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٣.

قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] .

قال القرطبي: قوله تعالى (ووصى بها إبراهيم) أي بالملة، وقيل: بالكلمة التي هي قوله (أسلمت لرب العالمين) وهو أصوب، لأنه أقرب مذكور، أي قولوا أسلمنا. وصى وأوصى لغتان لقريش، مثل كرمنا وأكرمنا، وقرئ بهما... ووصى (وفيه معنى التكثير) والمعنى: وأوصى يعقوب وقال يا بني إن الله اصطفى لكم الدين، فيكون إبراهيم قد وصى بنيه، ثم وصى بعده يعقوب بنيه [١] .

٢ ـ إشهار عن زواج: وهو إعلان الله عن تزويجه من فوق سبع سماوات لنبيه (ص) من زينب بنت جحش، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [الأحزاب: ٣٧]. فأصبحت زوجة له بعد النطق بالفعل زوجناكها، مما يوضح قوة الفعل الإنجازي .

٣ ـ إشهار عن الوعد بالمغفرة والفضل، نحو قوله تعالى: ﴿والله يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ [البقرة: ٢٦٨]. فقد وقع الوعد بالمغفرة والفضل بمجرد النطق به .

٢.١.٣ ثانيا : الطلبيات:

وتشمل كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغها :

١ـ كالأفعال الدالة على معنى الأمر، فتسمى أمرا نحو العبارات الآتية: أمرتك وأوجبت عليك وفرضت وحتمت، فإن تركت فأنت معاقب. وقد يكون بصيغة افعل أو فلتفعل .

(١) تفسير القرطبي: دار الريان للتراث، القاهرة، بدون تاريخ، ج/١، ص ٥١٩ .

بلفظ الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وبلفظ الفرض قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحريم: ٢].

بلفظ الكتابة قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة:٤٥] .

بالجار والمجرور قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧] .

بجزاء الشرط قال تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

بالوصف قال تعالى: ﴿قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

بالوعد بحسن الجزاء قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

الوصية:

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] (١).

النهى: هو يتسع ليشمل كل الأفعال الكلامية الدالة علي النهى: كالمضارع المسبوق بلا الناهية، قال تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: ١٥١] .

والأمر الدال علي الترك قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] .

ولفظ النهى، قال تعالى: ﴿وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النحل: ٩٠] .

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٥.

ولفظ التحريم، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾[النساء: ٢٣].

ونفى الحل، قال تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾ [النساء: ١٩] .

ونفى الحدث، قال تعالى: ﴿فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] .

ووصف الشيء بأنه شر، قال تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠] .

وجعله سببا للإثم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] .

وقرنه بوعيد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] [(١)].

٣. الاستفهام داخل في الطلب،لأن الاستفهام كما قالوا استخبار، والاستخبار طلب من المخاطب أن يخبرك عن شيء تريد معرفة خبره، وله دليل لفظي يدل عليه، ويتمثل في حرفي الاستفهام هل والهمزة، وفي أسماء الأسماء الاستفهام. وتشمل الأفعال الكلامية الدالة علي الاستفهام كالسؤال والاستفهام والاستعلام والاستخبار والاستنباء والاستفسار ونحوها، والغرض الإنجازي من الطلبيات هو التأثير في المتكلم ليفعل شيئا أو يخبر عن شيء[(٢)] .

أمثلة إشهارية على الأفعال الكلامية السابقة:

أ. الأمر: الفعل الكلامي الإشهاري الدال على الأمر باستخدام وسائل سابقة الذكر، يعطى فيها الفعل الكلامي قوة إنجازية، تدفع إلى الشراء، نحو: **صيغة افعل:** كما يحدث في الإشهار المعاصر (الحق فرصة العمر شقة بثلاثين ألف) و(اشترى خمسة أقلام واربح عشرة) .

---

(١) المرجع السابق: ١٠٦.
(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٦ .

وفي القرآن:

١- قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣].

هو إشهار عن الجنة عن طريق فعل إنجازي طلبي بصيغة افعل (سارعوا).

٢- قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**﴾ [يوسف: ٢١]، الفعل الإنجازي (عسى أن ينفعنا) إشهار عن يوسف.

٣- قال تعالى: ﴿ **قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٥٥]، الفعل الكلامي (اجعلني) هو يمثل القوة الإنجازية الإقناعية وإشهار عن نفسه.

٤- قال تعالى: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦]، الفعل الإنجازي (استأجره) هو إشهار عن موسى كعامل رعي.

٥- قال تعالى: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحجر: ٤٩]، الفعل (نبئ) يمثل القوة الإنجازية الإقناعية في الإشهار عن الله تعالى.

٦- قال تعالى: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ**﴾ [لقمان: ١٩]، اعتدال المشي وغض الصوت باستخدام الفعلين الطلبيين (اقصد ـ اغضض) للدلالة على الأمر، وهو إشهار عن مكارم الأخلاق على لسان لقمان.

هذه بعض الأمثلة على الإشهار القرآني؛ باستخدام الفعل الكلامي الإنجازي الطلبي بصورة الأمر وصيغة فعل الأمر (افعل).

بالوعد بحسن الجزاء: قد يأتي الفعل الكلامي الطلبي في الأمر بصورة (الوعد بحسن الجزاء) وقد يحدث ذلك في الإشهار أيضا من

خلال الإشهار عن هذا الجزاء قال تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً**﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فهو إشهار يعلن فيه الحق جزاء من يقرضه سبحانه قرضا حسنا، والفعل الإنجازي هنا (فيضاعفه) دل على طلب بالوعد بحسن الجزاء، والقوة الإنجازية للفعل الطلبي في إسناد المضاعفة لله تعالى .

بلفظ الأمر:

١- قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً**﴾ [البقرة: ٦٧]، هو إشهار من الله تعالى عن البقرة المطلوبة؛ باستخدام فعل طلبي إنجازي بلفظ الأمر (يأمركم) والقوة الإنجازية الإقناعية فيه تأتي من إسناد الأمر لله، وقد جاء بلفظ (يأمر) .

٢- قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨]، وهو إشهار عن أداء الأمانة، باستخدام الفعل الإنجازي الطلبي للأمر بلفظ (يأمر) .

ب . النهي: باستخدام الفعل الكلامي الإنجازي الطلبي الدال على النهي في الإشهار، نحو:

الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية: كما في هذا الإشهار الذي يعلن فيه البائع المتجول عن سلعته قائلا: ولا تزعل ثانية واعصر الليمون على البامية فاستخدم الفعل الإنجازي الطلبي بالنهي (ولا تزعل)، وهو مكون من: لا الناهية + فعل مضارع + باقي العبارة الإشهارية .

في القرآن : كما في الإشهار عن مكارم الأخلاق على لسان لقمان: باستخدام: لا الناهية + الفعل المضارع .

في النهي عن الشرك بالله: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [القمان: ١٣]، لا + تشرك (مضارع) .

في النهي عن التذلل أو التكبر: قال تعالى: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [القمان: ١٨]، لا + تصعر (مضارع) ، لا + تمش (مضارع).

باستخدام لفظ النهي: النهي عن المنكر: قال تعالى: ﴿**وَانْهَ عَنْ الْمُنكَرِ**﴾ [القمان: ١٧]، فعل النهي (انه) أمر ، واصبر علي ما أصابك.

ج. الاستفهام:

يستخدم الاستفهام في الإشهار عن السلعة بكثرة؛ لأن الاستفهام يقيم أول أسس التداولية؛ وهو الحوار داخل الخطاب الإشهاري من جانب واحد وهو جانب المتكلم أو المشهر، ويترك الشق الثاني من الحوار، وهو الإجابة على السؤال للمتلقي بينه وبين نفسه، ليختار الإجابة التي تناسبه، فتدفعه للشراء؛ نحو هذا الإشهار " لماذا تدفع أكثر ما دام ممكن تدفع أقل ؟! أسرع بشراء منتج كذا؛ فهو أرخص وأفضل " .

في القرآن: ورد في القرآن الكريم أمثلة كثيرة على الإشهار باستخدام الفعل الإنجازي الطلبي بصورة الاستفهام؛ كهذا التركيب: هل أو الهمزة + فعل مضارع :

١- قال تعالى: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ**﴾ [طه: ٤٠]، مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أدل).

٢- قال تعالى: ﴿ **فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ**﴾ [القصص: ١٢] مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أدل) .

٣- قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الصف: ١٠] مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أدل) .

٤- قال تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠] مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أدل) .

٥- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (ندل) .

٦- قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]، مكون من: أ + الفعل الإنجازي الطلبي (أنبئ) .

الإشهار التحذيري:

وهو إشهار لا يستخدم التركيب الاستفهامي للغرض السابق، ولكن لغرض التحذير من شيء ما، وهو مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (نبئ) .

١- قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]، مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أنبئ) .

٢- قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، مكون من: الهمزة + الفعل الإنجازي الطلبي (أنبئ) .

٣- قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)﴾ [الشعراء]، مكون من: هل + الفعل الإنجازي الطلبي (أنبئ) .

٤- قال تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (١٠٤)**﴾ [الكهف]، مكون من: هل + الفعل (ننبئ) .

كل هذه الآيات استخدمت في إشهاراتها المختلفة التركيب :

- هل + الفعل (أدلّكم) .
- الهمزة + الفعل (أنبئكم) .
- هل + الفعل (أنبئكم) .

فكانت قوة الإقناع في الفعل آتية من استخدام التركيب الطلبي القائم على الاستفهام. وهو يدفع للحوار بين المتلقي والمشهر والتفكير فيما يقال له .

الإشهار الاستفهامي بالتركيب الآتي:

الشيء + ما + الشيء + ما + أدراك + ما + الشيء، نحو :

١- قال تعالى: ﴿**الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)**﴾ [القارعة] .

٢- قال تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)**﴾ [الحاقة] .

إنه إشهار عن كل من القارعة والحاقة عن طريق: الاستفهام + الفعل الإنجازي الطلبي، ومنه تأتي قوة الإقناع. إنه أسلوب يدفع المتلقي إلى التفكير والحوار مع المتكلم، من خلال محاولته الرد علي هذا السؤال، فأصبح متجاوبا مع هذا الفعل الطلبي الاستفهامي ومفكرا مع المتكلم فيه، خصوصا أنه كرر اسم الشيء ثلاث مرات (الحاقة ـ القارعة) فهو من وسائل الإشهار في التأكيد على الشيء الذي يعلن عنه بتكرار اسمها فيه .

٣.١.٣ ثالثا: الإخباريات:

هي تقتصر على الأفعال التي تصف وقائع وأحدثا في العالم الخارجي وفي باب الإشهار نجد أنها تشمل أغلب أفعال الإشهار؛ فهي جميعا إخبار عن تلك السلعة المعلن عنها .

الغرض الإنجازي لهذا النوع من الأفعال نقل الواقع نقلا أمينا، فإذا تحققت الأمانة في النقل فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تاما، وإلا أصبحت الأخبار معيبة، واتجاه المطابقة في هذه الأفعال من الكلمات إلي العالم [١] .

اتجاه المطابقة في هذه الأفعال (من الكلمات >>> إلى العالم) يشير للأفعال الإنجازية الإخبارية بنكراد قائلا: " المستوى الإنجازي يتضمن الملفوظ الإشهاري غايتين: غاية وصفية مباشرة توهم بأن الإرسالية لا تقوم سوى بوصف خارجي للمنتج...

إن الفعل الإنجازي المهيمن على أغلب الوصلات هو إخباري بشكل صريح وتوجيهي بشكل ضمني، من قبيل الليمون يحتوي على فيتامين س، فهو إخباري، لكنه ينصح ضمنيا بتناوله في الوقت ذاته، وهو مستوى لا واع يستثير داخل المستهلك الحفاظ على الصحة الدالة على حب البقاء والخلود[٢] .

هذا مثال لجانب الفعل الإنجازي الضمني، حيث يستخدم الفعل الإنجازي غير المباشر بغرض التلميح لا التصريح عن المنتج، فلا يكون الهدف صريحا معلنا في الإشهار؛ فيفقد التأثير على المتلقي، فيلجأ المعلن إلى الفعل الإنجازي الضمني، ويترك الإقناع للعمليات العقلية .

---

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٧.
(٢) الصورة الإشهارية: ٢٠٤.

أمثلة على الإشهار الإخباري:

الفعل الإنجازي المهيمن على أغلب الوصلات هو الإخبار بشكل صريح أو ضمني، هذا سلوك أغلب الإشهار قديما وحديثا كما في هذا الذي ذكرته آنفا :

أ ـ الفاخر: (قولهم في النداء على الباقِليّ: شرق الغداة طري، قطع الغداة) [1] .

ب ـ الزاهر: (وقولهم في النداء على الباقلاء: شرق الغداة طري، قال أبو بكر معناه: قطع الغداة، أي ما قطع بالغداة والتقط، يقال: شرقت الثمرة: إذا قطعتها) [2] فهذا الإشهار هو إخبار عن خصائص السلعة .

في القرآن:

١ - قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً**﴾ [الكهف: ٤٦] .

في الآية إشهار عن " الباقيات الصالحات " جاء في جملتين إخباريتين هما :

١ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا .

٢ـ الباقيات الصالحات خير عند ربك .

فالجملة الأولى: إخبار عن واقع دنيوي محسوس. والثانية: إخبار أيضا؛ ولكن عن عالم غيبي هو الدار الآخرة، وأن ما فيها من خير أكبر مما في الحياة الدنيا، فأدركنا العالم الغيبي (الآخرة) عن طريق ربطه بالعالم المادي المحسوس (المال والبنون)، وقد قدم في إخباره ذكر العالم المادي على العالم الغيبي؛ لأننا سنفهم العالم الثاني بناءً على استدعاء العالم الأول من النص .

---

(١) الفاخر: ص ٢٥٦.
(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس: ج٢، ص٧، ٨ .

عمل التداولية: ويظهر عمل التداولية في هذا الإشهار في استخدام عناصر إشارية مثل: الضمير الشخصي (ضمير المخاطب الكاف في ربك) والإشارة الزمنية في (عند) والمقصود في زمن الآخرة .

٢- قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾ [البقرة: ٢٤٧] .

إشهار إخباري عن " طالوت " الرجل الذي اختاره الله ليكون ملكا على بني إسرائيل وقائدا لجيشها. فأخبر عن صفاته، وهي: أن الله اصطفاه وزاده بسطة في العلم والجسم، فأخبر عما تميز به المنتج من زيادة بـ: الجسم + العلم .

قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١)**﴾ [التكوير] .

إشهار إخباري عن جبريل عليه السلام،فكان هذا النص وصفا له، وذكر في نص آخر وصفا آخر له، قال تعالى: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم: ٥]، هذا الوصف مخالف لما قاله عنه القرطبي والرازي، يقول القرطبي: " علمه شديد القوى، يعنى جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين سوى الحسن، فإنه قال: هم الله عز وجل، ويكون قوله تعالى (ذو مرة) على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى... وقال الربيع بن أنس والفراء: (فاستوي وهو بالأفق الأعلى) أي استوي جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام[1]، هذا يعني أن هناك خلاف بالمقصود بـ (شديد القوى) الله تعالى أم جبريل، ولكننا نجد الرازي يؤكد أن المقصود به جبريل فقال: " تقديره علم محمد صلي الله عليه وسلم شديد القوى جبريل... تقديره علم صاحبكم، وشديد القوى هو جبريل، أي قواه العلمية كلها شديدة، فيعلم ويعمل وقوله شديد

(١) تفسير القرطبي: ٦٢٥٥/٩.

القوى فيه فوائد الأولى: أنه مدح المعلم مدح المتعلم، فلو قال علمه جبريل، ولم يصفه ما كان يحصل فضيلة ظاهرة[1] .

٣.١.٤ رابعا: الالتزاميات:

هي أفعال كلامية يقصد بها المتكلم الالتزام طوعا بفعل شيء للمخاطب في المستقبل بحيث يكون المتكلم مخلصا في كلامه، عازما على الوفاء بما التزم به كأفعال الوعد والوعيد والمعاهدة والضمان والإنذار... الخ، فالالتزاميات والطلبيات تشتركان في اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلمات، لكن المرجع فيهما مختلف، فهو في الالتزاميات المتكلم، وفي الطلبيات المخاطب[2] .

أمثلة أفعال الالتزاميات في الإشهار:

هذا العنصر أساسي في عملية الإشهار، حيث يحاول المشهر من خلال عمله إقناع المشترى بسلعته عن طريق التزاميات يذكرها في إشهاره من: وعود بجودة السلعة، ووعيد في شكل تحذير من ضياع فرصة شراء سلعته، وتقديم ضمانات من شركات أكبر منه تضمن جودة منتجه، وهذه كلها التزامات: كوعود يقطعها على نفسه المشهر أو المتكلم أمام المتلقي أو المخاطب. وتأتي القوة الإقناعية في هذا النوع من الأفعال الكلامية من الالتزام الذي ينفذه ويلتزم به المتكلم بمجرد النطق به، لذا يجب عليه أن يكون مخلصا في وعده .

أمثلة من الإشهار اليومي:

إشهار متداول بكثرة بالعامية المصرية: (إن خلص الفول أنا مش مسئول) .

إشهار آخر عن لبن أطفال يقول: (هذا المنتج بضمان نسلة) أي تضمنه شركة نسلة العالمية.

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: الإمام الرازي، مكتبة التوفيقية، القاهرة، ٢٠٠٣م المجلد ١٤، ج/٢٨، ص٢٦٣.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٧.

هذا الإشهار يقول: (نعاهد الله ونعاهدكم أن نحل مشكلة الإسكان بمصر) .

في القرآن :

(الوعد بلفظ وعد):

قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ اللَّهِ قِيلاً**﴾ [النساء: ١٢٢] .

هذا إشهار عن سلعة الله وهي الجنة، عن طريق الوعد الذي قطعه الله على نفسه لعباده المؤمنين، هل هناك من هو أصدق قولا من الله ؟!

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [المائدة: ٩] هذا وعد آخر يعد الله به عباده الصالحين مغفرة منه وأجرا عظيما.

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٧٢]، هذا إشهار آخر عن الجنة بوعد الله للمؤمنين بها. (وعيد الله للمنافقين بلفظ وعد + عقاب جهنم) .

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦٨] .

٥.١.٣ خامسا: التعبيرات:

أفعال كلامية يعبر بها المتكلم عن مشاعره في حالات الرضا والغضب والسرور والحزن.. ويدخل فيها أفعال الشكر والاعتذار والتهنئة والمواساة وإظهار الندم. مما ورد منها في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان أم مريم: ﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى**﴾ [آل عمران: ٣٦] .

وقوله تعالى علي لسان زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤] [(١)].

ومثله قول يعقوب عليه السلام: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤].

وهي عبارة أسف وحزن على ما حدث ليوسف (يا أسفى).

كيف يعتذر ويتأسف يعقوب عما حدث ليوسف، ولم يكن له يد في ذلك ؟! إنها عادة كلامية إنسانية لدى كل البشر عندما يلتقون بإنسان وقعت عليه مصيبة، يعتذرون له، فنجدهم في اللغة الإنجليزية يقولون في مثل هذه الحالة للمصاب: I am sorry، فلماذا يعتذر له ؟ إنه نوع من المشاركة له.

كذلك هذه العبارة الإعتذارية، قال تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، (معذرة إلي ربكم) أي نعتذر لربكم لأننا وعظنا قوما الله مهلكهم.

التعبيرات في الإشهار:

يستخدم المشهرون كثيرا من هذه العبارات في إشهارهم، بغرض إعطاء الإشهار نوعا من التفاعل والمصداقية، لقربه من لغة الناس وكل عباراتهم، كهذه العبارة التي جاءت في نهاية إعلان عن نوع من المأكولات (وكليه: بالهنا والشفا) وفي نهاية إعلان عن طعام ما بالعامية الشامية عبارة (بصحتين وعافية).

في القرآن:

ونجد مثل هذه العبارات في بعض الإشهارات القرآنية، كالتعقيب في نهاية الإشهار، أو تقديم للسلعة كما في هذه الآيات :

يعلن الحق تبارك وتعالى عن جواز الأخذ من مال النساء إن سمحن بذلك مستخدما عبارة تدل على الرضا منه سبحانه بذلك قال تعالى:

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٨.

﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾ [النساء: ٤]، التعبير التداولي هنا (فكلوه هنيئا مريئا)، وقد فسر هذا الإمام الرازي بقوله: " علم أنه تعالى لما أمرهم بإيتائهن صدقاتهن عقبه بذكر جواز قبول إبرائها وهبتها له، لئلا يظن أن عليه إيتاءها مهرها وإن طابت نفسها بتركه [١] .

في إشهار آخر عن الجنة و نعيمها؛ يُنْهى الحق وصفه لها بعبارة تهنئة لأهلها قائلا: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾ [الإنسان: ٢٢]، والعبارة التداولية (وكان سعيكم مشكورا) وقد فسرها القرطبي بقوله: " قوله تعالى: إن هذا كان لكم جزاء، أي يقال لهم: إنما هذا جزاء لكم أي ثواب، وكان سعيكم أي عملكم مشكورا أي من قبل الله، وشكره للعبد قبول طاعته وثناؤه عليه، وإثابته إياه. وروى سعيد عن قتادة قال: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسنى. وقال مجاهد: مشكورا أي مقبولا والمعنى متقارب [٢] .

في إشهار ثالث يشير الحق بعبارة تحية وتكريم لمن سعى وصبر حتى وصل لسلعته (الجنة) قائلا: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤]، وعبارة التحية هي (سلام عليكم) قال الإمام القرطبي: " سلام عليكم أي يقولون: سلام عليكم؛ فأضمر القول، أي قد سلمتم من الآفات والمحن. وقيل: هو دعاء لهم بدوام السلامة، وإن كانوا سالمين، أي سلمكم الله، فهو خبر معناه الدعاء؛ ويتضمن الاعتراف بالعبودية [٣] .

وفي إشهار رابع: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسْ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦] .

---

(١) التفسير الكبير: المجلد الخامس، ج ٩، ص١٥٦.
(٢) تفسير القرطبي: ج/١٠، ص ٦٩٣٨.
(٣) تفسير القرطبي: ج ٥، ص ٣٥٤١.

يقول الطبري: " عاقبته مسك، في طيب الريح، أي: أن ريحها في آخر شربها تختم لهم بريح المسك "[1] .

وأغرب ما في تلك العبارات القرآنية أنها جميعها مستخدمة إلى اليوم في مجتمعاتنا العربية المعاصرة بالطريقة نفسها على أنها تعبيرات ترد عرضا في داخل كلام الناس اليومي، ولا أبالغ إذا قلت: وفي مواضع الإشهار أحيانا كعبارة (ختامه مسك) نجد الذي يريد أن يمدح شخصا أو سلعة؛ فإنه يقول: جاء فلان وهو مسك الختام، وهذه السلعة مسك الختام لشركة كذا، فقد توقفت بعدها الشركة عن الإنتاج .

كذا عبارة (هنيئا مريئا) تقال للدعاء للشخص، وفي نهاية بعض الإشهارات المعاصرة عن المأكولات وبرامج الطهي، كعبارة (بصحتين وعفية). كذا عبارة (وكان سعيكم مشكورا)، تقال في سرادق العزاء لمن جاء لتأدية واجب العزاء، وتقال لكل من سعي في خير، وكان سعيكم مشكور أو غيرها .

١.٢.٣ أمثلة الفعل التأثيري في الإشهار(القوة الإقناعية الخفية):

ذكرنا قبل ذلك أن أوستن وبعده سيرل قد قسما الفعل إلى: فعل لفظي، وفعل إنجازي، وفعل تأثيري، فالأول يتعلق بإنتاج الوحدة اللفظية، والثاني: " يشتمل على أبعاد أخرى؛ ندل من خلالها على أننا نقوم بشيء ما؛ ونحن نتحدث كالوعد أو الوعيد أو التأكيد أو التمني، وهي قيم مرتبطة بسياقات التلفظ، وليست جزءا قارا داخل الملفوظ. الملفوظ يشتمل... على قوة ثالثة يمكن تحديدها في الآثار التي يتركها الملفوظ في نفس المتلقي، ما يطلق عليه الفعل التأثيري، إنه يشير بعبارة أخرى إلى نتائج ووقع هذه الأفعال علي ممارسات أو أفكار أو المعتقدات المستمع "[2] .

---

(١) مختصر من تفسير الإمام الطبري: للتجيبي، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٠م. ج /٢، ص ٤٦٠.
(٢) الصورة الإشهارية: ٢٠٣.

كيفية تلمس آثار الملفوظ الإشهاري في وجدان المستهلك:

وهي آثار تجمع ضمن بنية واحدة بين الاعتقاد الناتج عن الفعل الإيجازي وبين الوقع الذي هو حاصل الفعل التأثيري: الدفع بالمستهلك إلى شراء المنتج. فالبعد الأول مرتبط بقصدية تأثيرية من نوع الدفع بالمستهلك إلى الاعتقاد في جدوى اقتناء المنتج، في حين يقدم البعد الثاني ما يبرر حالة الفعل الذي يقود إلى فعل الشراء الذي هو الغاية التأثيرية من الوصلة بأبعادها الثلاثة .

فكل ملفوظ إشاري هو في الواقع سلسلة من السياقات المضمرة التي تتسلل إلي وجدان المستهلك في غفلة من كل أشكال الرقابة التي يمكن أن يستنجد بها [1] .

إنها تتكون من عملية داخليه وخارجية يرتبطان معا، فبعد أن يتلقي المستمع الوصلة الإشهارية تقوم أجهزته الداخلية في التفاعل والتصارع مع الرسالة القادمة إليها من الخارج، ومع وقيود الرقابة العقلية عليه،ثم ينفلت منها إلى أن تدفع به إلى مرحلة الاقتناع؛ ثم الشراء. وتستخدم اللغة قوتها الإقناعية للوصول لذلك الهدف. من خلال الفعل الإنجازي ثم الفعل التأثيري .

فنحن في حضرة قوة إقناعية تختفي في تفاصيل الوصف، وتُعد مع ذلك القوة الضاربة داخل الملفوظ، فكل شيء يتحدد من خلال طريقة العرض والوصف [2] .

كيف تتم عملية التأثير والاقتناع بالمنتج ؟

يتم ذلك من خلال سلسة من العمليات المتداخلة التي لا يلاحظها المتلقي، تبدأ من الاعتقاد في جدوى المنتج، وهو مرتبط بعمليات أخرى، هي (الإثارة والميل والفعل): فعل الإنتاج إثارة، أما الميل فوثيق الصلة

---

(١) المرجع السابق: ٢٠٥.
(٢) الصورة الإشهارية: ٢٠٤.

بالفعل الإنجازي فدون حصول ميل إلى المنتج لا يمكن أن يتحقق الفعل. ثم يأتي السلوك الشرائي في المقام الثالث كحصيلة لما سبق (المعرفة والانفعال والفعل).

الإثارة (فعل الإنتاج) >> الميل (الفعل الإنجازي) >> الفعل (التأثير > السلوك).

هناك من يربط العملية الإقناعية بالأبعاد الثلاثة (المعرفة ـ الانفعال ـ الفعل) إن الانتقال من الاعتقاد إلى الفعل لا يمكن أن يتحقق إلا إذا حصل المستهلك على معلومات يطمئن إليها... وبالإضافة إلى ذلك، فإن الاعتقاد يتحقق من خلال إثارة الرغبات العميقة عند الذات، إن المصداقية رهينة باستجابة ما تقدم للرغبات الواعية واللاواعية والاستيهامات المتنوعة [1]، وهذا صحيح؛ فلا يمكن الفصل بين المعرفة كمدخل للوصلة الإشهارية تدخل من خلالها كل المعلومات الخاصة بالمنتج، والانفعال أي الفعل الإنجازي بما لديه من قوة إقناعية، إلى الفعل الذي هو التأثير كل ما سبق على المتلقي الذي يسرع بالشراء، إن القوى الإقناعية في الإشهار تكمن في خلق حالة تطابق بين عوالم المنتج، وبين رغبات المتلقي الواعية واللاواعية، إنها حقيقة مركزية في تصور الوصلة في استقبالها وفي تفكيك دلالاتها [2].

الفرق بين التداولية والإشهار:

إن التداولية تعالج استعمال أو استخدام اللغة بصورة عامة كوسيلة تواصل بين البشر لتحقيق كل أغراضهم، أمّا الإشهار فهو نوع من أنواع التواصل المرتبط بغرض محدد، وهو الترويج لسلعة ما (بضاعة ـ فكر ـ خدمات) فقط، وهو يوظف أدوات النظرية التداولية لتحقيق هذا

(١) المرجع السابق: ٢٠٨.
(٢) المرجع السابق: ٢٠٩.

الغرض، ويقوم بتفكيك العبارة الإشهارية باستخدام تلك الأدوات لبيان مواضع القوة والضعف فيها.

ومع هذا فالغاية واحدة في الجانبين (الإشهار والتداولية) وهو التواصل.

ولكن الفرق الكبير بينهما رغم اتحاد الغاية فيهما؛ فيما تحمله الملفوظات التقريرية في التداولية من أنها تحمل عبارة إخبارية تكون صادقة أو كاذبة، أما في الإشهار فالملفوظات التقريرية فيه تدّعي الصدق دائما، ولهذا تحاول أن تدخل إلى مناطق هاشة في داخل المستهلك وهي اللاشعور، ليقنع المتلقي بجودة المنتج، يقول بنكراد: " إن الاعتقاد مصدره القوة الإقناعية التي يتضمنها الملفوظ الإشهاري، وهي قوة مهمتها استثارة سلسلة من الانفعالات التي لا تتحقق في الواقع المباشر للمتلقي، بل موطنها مناطق اللاشعور التي تتجسد على شكل استيهامات، وتتسرب إلى التحقق الفعلي في غفلة من الرقابة العقلية، وبعبارة أخرى، تعمل هذه القوى على تعطيل عمل العقل، لتحرر الفعل الشرائي من كل القيود المسبقة التي تحد من انطلاقه لكي يحلق عاليا في عالم الشراء"[1].

يعتمد الإشهار على تعطيل عمل العقل وإدخاله في استيهامات يظن خلالها صدق هذا الملفوظ الإشهاري؛ فيندفع ليشتري المنتج.

مثال إشهاري من القرآن جامع لكل عمل التداولية:

قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

(١) الصورة الإشهارية: ٢٠٩.

وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)﴾ [آل عمران] .

مع المفسرون:

تفسير ابن كثير:

زُيِّن للناس حبُّ الشهوات (ما تشتهيه النفس وتدعوا إليه زينها الله ابتلاءً أو الشيطانُ) من النساء والبنين والقناطير (الأموال الكثيرة) المقنطرة (المجمعة) من الذهب والفضة والخيل المسومة (الحسان) والأنعام (أي الإبل والبقر والغنم) والحرث (الزرع) ذلك (المذكور) متاع الحياة الدنيا (يتمتع به فيها ثم يفنى) والله عنده حسن المآب (المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره [١] .

تفسير الطبري:

قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اِتَّقَوْا عِنْد رَبّهمْ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتهَا الْأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاج مُطَهَّرَة (يَعْنِي جَلَّ ثَنَاؤُهُ: قُلْ يَا مُحَمَّد لِلنَّاسِ الَّذِينَ زُيِّنَ لَهُمْ حُبّ الشَّهَوَات مِنْ النِّسَاء وَالْبَنِينَ، وَسَائِر مَا ذَكَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ) أَؤُنَبِّئُكُمْ (أَأُخْبِرُكُمْ وَأُعْلِمكُمْ) بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ (يَعْنِي بِخَيْرٍ وَأَفْضَل لَكُمْ) مِنْ ذَلِكُمْ (يَعْنِي مِمَّا زُيِّنَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا حُبّ شَهْوَته مِنْ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِير الْمُقَنْطَرَة مِنْ الذَّهَب وَالْفِضَّة، وَأَنْوَاع الْأَمْوَال الَّتِي هِيَ مَتَاع الدُّنْيَا. (وَقَالُوا: تَأْوِيل الْكَلَام: قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ ؟ لِلَّذِينَ اِتَّقَوْا عِنْد رَبّهمْ، ثُمَّ كَأَنَّهُ قِيلَ: مَاذَا لَهُمْ، أَوْ مَا ذَاكَ ؟ أَوْ عَلَى أَنَّهُ يُقَال: مَاذَا لَهُمْ أَوْ مَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ: هُوَ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتهَا الْأَنْهَار... الْآيَة [٢] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ١٩٨٠م، ج/١، ص/٣٥١ .
(٢) تفسير الطبري .

في التداولية:

هذا الإشهار هو مقابلة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة، استخدم فيها الحق سبحانه اللغة بأفعالها المختلفة، وحسب تقسيم التداولية كانت هذه الأفعال :

١ـ **أفعال إخبارية:** يبدأ بها الإشهار (زين) و (للذين اتقوا عند ربهم جنات) و (والله بصير بالعباد) و (والله عنده حسن المآب) و (ذلك متاع الحياة الدنيا) .

٢ـ **أفعال أدائية الإنجازية:** كفعل الطلبي (الاستفهامي: أؤنبئكم) (أمر: قل) .

٣ـ **الإشاريات:** ضمائر(ضمير المخاطب: كم، ضمير الغائب: واو الجماعة ـ ها الغائبة ـ هم) أسماء الإشارة (ذلك ـ ذلك) .

٤ـ **الأفعال الضمنية غير المباشرة:** تتضمن الآيات حث على طلب الآخرة ومعان أخرى من خلال أفعال ضمنية:

أ. للذين اتقوا ربهم: فعل إنجازي يحث علي التقوى لنيل هذا الجزاء.

ب ـ والله بصير بالعباد: فعل إنجازي يطلب منا مراقبة الله لأنه بصير بنا.

ج ـ زين للناس: تتضمن معنى أن شهوة الدنيوية كلها لابد من تزيينها لأنها قبيحة، ولكن الله زينها لإقناع الناس بها والعيش فيها ولينسوا قبحها ولكي يختبرهم فيها ولتعمر الأرض بالبشر والمتاع، وليعملوا من أجلها .

د ـ قل أؤنبئكم: تضمن معنى غير مباشر وهو المقابلة بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة .

الخلاصة:

إن التداولية تدخل عالم الإشهار لتحلل مقاصد المتكلم، وكيف يقنع سامعه بالمنتج، ويحوله من متلقي إلى مستهلك.

ولهذا كان ضروريا تحليل الوصلة الإشهارية في ضوء هذه النظرية، ومعطياتها لبيان إمكانيات العبارة الإشهارية، وقوة الفعل الإنجازي فيها.

والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فلا تخلو وصلة إشهارية ناجحة من استخدام أدوات النظرية التداولية، وإن لم يتبين لنا ذلك إلا بعد الدراسة والتحليل .